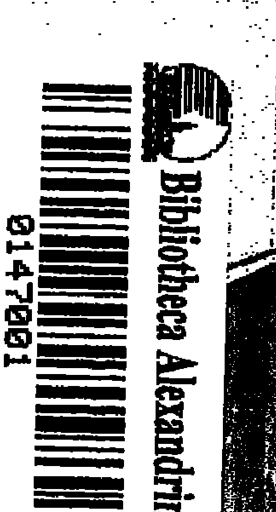
الخيانة هزمت عرابي





عادل

الخيانة هزمت عرابى

عادل أحمد سركيس
المحامى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٩

الاخراج الفنى :	الغلاف
ماجده البنا	سميرة المرصفى

الاهـــداء

الى روح الزعيم المصرى الثائر
أحمد عرابى المصرى ..

عادل أحمد سركيس
المحـــامي

هـذا الكتـاب

بدأت فكرة هذا الكتاب سنة ١٩٧٦ عندما كنت أساعد ابنتى الكبرى « أمل » فى دروسها استعدادا لامتحان الاعدادية .

وقد جمعت بعض المراجع فى ذلك الوقت ، ولكن حـال دون اتخاذ خطوات ايجابية لوضع الكتاب سفرنا الى الولايات المتحدة الأمريكية لمرافقة السـيدة زوجتى لدراسـة الدكتوراه فى التربية الصحية ..

وألحت الفكرة فى عنف عندما كنت أؤدى نفس الدور التعليمى لابنتى الصغرى « أمانى » عام ١٩٨٠ .. فقد هالنى أن أضطر لذكر أسباب فشل الثورة العرابية الستة ــ كما هى فى الكتاب المدرسى المقرر لطلبة وطالبات الاعدادية .. خمسـة منها تتضـمن تهجما وتجريحا لشخصية الزعيم أحمد عرابى والسبب السادس هو خيانة على يوسف الشهير بخنفس .. دون أن يذكر الدور الذى قام به ودون أن يذكر غيره من الخونة ، حتى يبدو عنصر الخيانة ضئيلا .. ضئيلا .. وكأنه سبب لا يستحق الذكر الى جانب الأسـباب الخمسة الأولى التى تهاجم الثورة العرابية وقائدها وتنزع عنه كل مقدرة عسكرية وسياسية ..

المقدرة العسكرية التى شهد بها اعداؤه الانجليز فى تعليقهم على الخطة الحربية لمعركة القصاصين الثانية والتى سرقها على يوسف خنفس وسلمها للانجليز ٠٠ بأنها جيدة وبانه لو تم تنفيذها لقضت على الجيش الانجليزى فى الصحراء الشرقية ٠٠

والمقدرة السياسية التى بدت فى مواقفه يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وفى برقيته للخديوى توفيق بتاريخ ١٨ يوليو سنة ١٨٨٢ وفى قضائه على الفتنة الطائفية التى أراد اثارتها ابراهيم أدهم باشا مدير الغربية وفصله من وظيفته ٠٠ وقد اعيد اليها بعد هزيمة الثورة مما يثبت أنه كان يعمل لحساب الخديوى توفيق وحلفائه الانجليز ٠٠

وعندما أوكل ادارة شئون البلاد الى المجلس العرفى المكون من وكلاء الوزارات المختلفة بقدراتهم وخبراتهم دون تدخل منه وعندما ترك للشعب المصرى ــ ممثلا فى الجمعية العمومية ــ حق اتخاذ القرارات دون أن تفرض عليهم ٠٠

لقد أردت أن اقدم هذا الكتاب للأجيال الصاعدة موضحا حقيقة تاريخية أدركها الشعب المصرى فى طول البلاد وعرضها ٠٠ أن الخيانة هزمت عرابى ، عندما ردد كلماته المشهورة ــ والتى مازال يرددها ــ أن « الولس كسر عرابى » ٠٠

والكتاب ليس تاليفا بمعناه الدقيق ولكنه تجميع وتنظيم للمعلومات التى تضمنتها الكتب التى اتيح لى قراءتها ٠٠ لعله يؤدى الدور الذى اردته له ٠٠

والله ولى التوفيق

عادل احمد سركيس

المحامى

لايزال الناس فى قرى مصر كلما استفظع أحدهم
الغش والخيانة وأراد أن يعبر عن سوء عاقبتهما
قال فى جد وألم « الولس كسر عرابى » .

محمود الخفيف

الفصـــل الأول

هكذا بدأت الثورة العرابية

لقد خلقنا الله احرارا ولم يخلقنا
تراثا وعقارا ·· فوالله الذى لا اله
الا هو اننا سوف لا نورث ولا نستعبد
بعد اليوم ··

احمد عرابى

ولد الزعيم احمد عرابى فى ٣١ مارس سنة ١٨٤١ ببلدة هرية رزنة بضواحى مدينة بوبسط المشهورة باسم تل بســـط بمحافظة الشرقية ٠٠

التحق بالعسكرية فى ٦ ديسمبر سنة ١٨٥٤ بناء على أمر محمد سعيد باشا ـ والى مصر فى ذلكالوقت ـ بانتظام أولاد عمد البلاد ومشايخها فى سلك العسكرية ٠٠

رقى الى رتبة ملازم ثان فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٥٨ والى رتبة ملازم أول فى ٢٣ فبراير سنة ١٨٥٩ ، والى رتبة يوزباشى (نقيب) فى ١٨ أبريل سنة ١٨٥٩ ٠ والى رتبة صاغقولغاسى (صاغ ـ رائد) فى ١٧ ديسمبر سنة ١٨٥٩ ، والى رتبة بكباشى (مقدم) فى سنة ١٨٦٠ ، والى رتبة قائمقام بك (عقيد) سنة ١٨٦١ ثم الى رتبة أمير آلاى (عميد) فى يونية سنة ١٨٧٩ لأوى المشاة الرابع الذى كان مركزه بالقاهرة ـ ويعرف باسم الاى العباسية ـ فى عهد محمد توفيق باشا ثم الى رتبة اللواء سنة ١٨٨٢ ٠٠

وكان الزعيم احمد عرابى قد رفض رتبة اللواء (باشا) عندما عرضت عليه مع وظيفة وكيل نظارة الجهادية (وزارة الحربية) فى نهاية عام ١٨٨١ ـ فقبل وكالة الجهادية مع بقاء الآلاى فى عهدته ورفض رتبة الباشا حتى لا يسىء الى سمعته ٠٠ بان يقال بانه انما

كان يعمل لمصلحته الشخصية لا المصلحة العامة وصدر الأمر بتعيينه وكيلا لوزارة الحربية فى ٤ يناير سنة ١٨٨٢ ..

فى فبراير سنة ١٨٨٢ عين أحمد عرابى وزيرا للحربية فى وزارة محمود سامى البارودى باشا ، ونال رتبة لواء باشا .. وفى ١٨٨٢/٦/٢٥ أنعم على عرابى باشا بالوسام المجيدى الأكبر ..
وقد رأى الانجليز أن انعام السلطان العثمانى على أحمد عرابى باشا - فى الوقت الذى كان فيه شخصه هو الوحيد الذى يبعث على القلق - قد أدى الى زيادة ثقة الجيش فى نفسه ..

فى ١٥ يناير سنة ١٨٨١ اجتمع عدد من الضباط فى منزل الزعيم أحمد عرابى منهم الأميرالاى عبد العال بك حلمى حكمدار الآلاى السودانى ، البكباشى خضر أفندى من الآلاى المذكور ، على بك فهمى أمير آلاى الحرس الخديوى البكباشى ألفى أفندى يوسف من الآلاى الرابع بيادة (مشاة) . القائمقام أحمد بك عبد الغفار من الآلاى السوارى (الخيالة) . وفوضوا اليه الأمر وأقسموا على أن يفدوه ويفدوا الوطن العزيز بأرواحهم(١) .

وكتب أحمد عرابى باشا عريضة الى رئيس النظار (رئيس الوزراء) مصطفى رياض باشا مقتضاها الشكوى من تعصب عثمان رفقى باشا لجنسه واجحافه بحقوق الوطنيين وطلب فيها :

أولا : عزل ناظر الجهـــادية المذكور وتعيين غيره من أبناء الوطن عملا بالقوانين ..

ثانيا : تأليف مجلس نواب من نبهاء الأمة تنفيذا للأمــر الخديوى الصادر عقب ارتقائه الاريكة الخديوية ..

ثالثا : ابلاغ الجيش العامل الى ١٨٠٠٠ تطبيقــا للفرمان السلطانى ..

---

(١) مذكرات أحمد عرابى جـ ١ ص ٥٦ - ٥٨ .

رابعا : تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كاملة للعدل والمساواة بين جميع الموظفين بصرف النظر عن اختلاف الأجناس والمذاهب ·

وقد وقعها احمد عرابى باشا بخاتمه وكذلك ختم عليها على بك فهمى وعبد العال بك حلمى · وفى اليوم التالى ـ ١٦/١/١٨٨١ ـ توجه ثلاثتهم لمقابلة رياض باشا وقدموا له العريضة ··(٢)

فى ٢١/١/١٨٨١ انعقد بعابدين مجلس تحت رئاسة الخديوى توفيق حضره جميع الباشوات المستخدمين والمتقاعدين من الترك والجركس وقرروا ايقاف أمراء الالايات الثلاثة الذين وقعوا على العريضة ومحاكمتهم امام مجلس فوق العادة ·

وفى مساء ذلك اليوم ارسل عثمان باشا رفقى ناظر الجهادية يدعوهم للحضور الى ديوان الجهادية بقصر النيل فى صباح يوم أول فبراير سنة ١٨٨١ · للاحتفال بزفاف جميلة هانم شقيقة الخديوى ·· فادركوا انه يريد ان يخدعهم ويبطش بهم لأن وقت الزفاف المذكور لم يكن قد حان بعد ، ولذلك اتخذوا حذرهم وحيطتهم ··

وفى الموعد المحدد توجه ثلاثتهم الى ديوان الجهادية بقصر النيل حيث عقد المجلس العسكرى فوق العادة برئاسة ناظر الجهادية وعضوية كبار الضباط الجركس واستون باشا (امريكى) رئيس اركان حرب ولارمى باشا (فرنسى) ناظر المدارس الحربية . وتلى الآمر الخديوى بالايقاف والمحاكمة ، ثم نزعت سيوفهم وسيقوا الى السجن فى قاعة بقصر النيل ··

وجاءت اورطتان من الاى الحرس الخديوى وأحدق رجالهما بديوان الجهادية واخرجوا احمد عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى من السجن(٣) ··

---

(٢) مذكرات أحمد عرابى ص ٥٨ ـ ٦٠ ·

(٣) المرجع السابق ص ٦٠ ـ ٦٢ ·

وكان الضباط قد علموا بقرار مجلس الوزراء فور صدوره . واتخذوا الاحتياطات اللازمة لسلامتهم ·· انه فى حالة عدم عودتهم بعد ساعتين من ذهابهم الى وزارة الحربية تسارع قوات الاياتهم الى انقـــاذهم من الاعتقـــال · وقد تمت هذه الخطة بمنتهى الدقـــة والاخلاص ··

واقتحمت الالايات بكامل قواتها من ضـــباط وجنود غرفة المحاكمة واعتدوا بعنف على وزير الحربية عثمان رفقى باشا وانقذوا القواد الذين ســـاروا بهم توا الى الخديوى توفيق بقصر عابدين للمطالبة بعزل ذلك الوزير ·· واضطر الخديوى الى دعوة الضباط الثلاثة ليبلغهم صدور امره بعزل وزير الحربية عثمان رفقى وتعيين محمود سامى البارودى باشا فى مكانه ··(٤)

ولما راى احمد عرابى وزميلاه كثرة الدسائس التى اوعز بها الخديوى ورجاله ، وشدة ضغط الحكومة بمنع اجتماع الضباط مع بعضهم فى المنازل او فى احياء المدينة وعدم تركهم مراكز الالايات نهارا أو ليلا ·(٥) وعدم التصديق على القوانين التى تم وضعها وعدم الشروع فى تاليف مجلس النواب الذى وعدهم الخديوى به ، أيقنوا ان الحكومة تماطلهم فى تنفيذ المطالب الوطنية فصمموا على تجديدها فى صورة مظاهرة وطنية شاملة للعسكرية والأهالى الذين انابوهم عنهم · وخاطب جميع الالايات البيادة (المشاة) والسوارى (الخيالة) والطوبجية (المدفعية) الموجودة فى القاهرة للاستعداد للحضور الى ميدان عابدين فى الساعة العاشرة عربى (الساعة الرابعة بعد الظهر) من يوم الجمعة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ لفرض الطلبات العادلة على الحضرة الخديوية ··(٦) ··

---

(٤) الثورة العرابية ، لورد كرومر ترجمة عبد العزيز عرابى ص ٤٨ ــ ٥٠ .
(٥) مذكرات عرابى ص ٦٨ ــ ٧٠ .
(٦) مذكرات عرابى ص ٧٤ ، ٧٥ .

اكتمل اجتماع الجيش فى ميدان عابدين من الآلاى السوارى بقيادة احمد بك عبد الغفار والاى البيادة بالعباسية بقيادة أحمد بك عرابى والاى الطوبجية بقيادة اسماعيل بك صبرى والاى الحرس الخديوى بقيادة على بك فهمى والآلاى الثانى من قصر النيل بقيادة اليوزباشى احمد افندى صـــادق والآلاى الثالث من القلعة بقيادة دودد أفندى حسن والآلاى السودانى بقيادة عبد العال بك حلمى وأورطة المستحفظين بقيادة القائمقام ابراهيم بك فوزى ·· وازدحم الميدان بجماهير الوطنيين والأجانب ··(٧)

نزل الخديوى توفيق الى الميدان وطلب احمد عرابى فتوجه اليه راكبا جواده وسيفه فى يده ومن خلفه نحو ثلاثين ضابطا ·· فلما دنا من الخديوى صاح به ليترجل ويغمد سيفه ففعل · وصاح الخديوى بمن خلف احمد عرابى من الضباط ليغمدوا ســـيوفهم ويعودوا لأماكنهم ، فلم يفعـــلوا وظلوا وقوفا خلف الزعيم احمد عرابى ··

وسأله الخديوى

ـ ما أسباب حضورك بالجيش الى هنا ··

ـ جئنا يامولاى لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات عادلة ··

ـ وما هذه الطلبات ؟

ـ هى اســـقاط الوزارة المســـتبدة وتأليف مجلس نواب على النســـق الأوروبى وابلاغ الجيش الى العدد المعين فى الفرمانات السلطانية والتصديق على القوانين العسكرية التى أمرتم بوضعها ·

---

(٧) مذكرات عرابى ص ٧٦ ، ٧٨ ·

– كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى ، وما أنتم الا عبيد احساناتنا ..

– لقد خلقنا الله احرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا ، فوالله الذى لا اله الا هو اننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم(٨) .

وعاد الخديوى توفيق لسراى عابدين واجيبت المطالب واسقطت الوزارة . وفى ٤/١٠/١٨٨١ صدر امر الخديوى بانتخاب النواب طبقا للائحة مجلس شــورى النواب . وتم افتتاح المجلس فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١(٩) .

لقد وهب الزعيم أحمد عرابى أهم فترة فى حيــاته لمصــر والمصريين . لقد كان الناس ينهضون وقوفا على جانبى الطريق اذا أبصروا أحمد عرابى فى عربته ويهتفون قائلين « الله ينصــرك ياعرابى » ولا نملك نحن الآن الا أن نقول « رحمك الله ياعرابى وخلد ذكراك » ..

---

(٨) مذكرات عرابى ص ٧٩ .
(٩) مذكرات عرابى ص ١٠٥ .

الفصـــل الثـــانى

ليـــلة أبو ســـلطان
السبت ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢

لعل أجمـــل تحية نقدمها لذكرى الزعيم أحمد عرابى أن يؤكد الشعب المصـــرى بزعامته الوطنية خطورته على طريق الحـرية والديمقراطية فى ظل دســـتور يحققهما ويمنع اغتيال احدى السلطات للأخرى ..

فى ١٩ مايو سنة ١٨٨٢ بدأت السفن الحربية الانجليزية تفد على ميناء الاسكندرية ..

وفى ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ تقدمت انجلترا وفرنسا بالانذار الأخير للوزارة المصرية التى يرأسها محمود سامى البارودى باشا يتضمن طلب سقوط الوزارة وخروج أحمد عرابى باشا من القطر المصرى مع حفظ رتبه ومرتباته ونياشينه واقامة عبد العال باشا حلمى وعلى باشا فهمى فى الريف مع ضمان رتبهما ونياشينهما ورواتبهما . وكذلك تسريح الجيش الا بالقدر اللازم لحفظ الحدود الجنوبية ..

اجتمع مجلس النظار (الوزراء) فى منزل محمود باشا سامى البارودى وقرر رفض الانذار رفضا باتا وعند عرض الأمر على الخديوى توفيق أخبرهم بأنه تسلم صورة الانذار وأنه قبله .. فعرضوا عليه استدعاء مجلس النواب للنظر فى مصلحة البلاد نظرا للخلاف العظيم بين الوزارة والخديوى وقد قدم النظار استعفاءهم فى يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٨٢ احتجاجا على الانذار . وقبل الخديوى ذلك بفرح ..

وفى ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ قال الخديوى توفيق للنواب والاعيان والعلماء الذين جمعهم فى السراى أن السياسة اقتضت استعفاء الوزارة وقبول انذار الدولتين فرنسا وانجلترا ، وأنه احتفظ لنفسه برئاسة الجهادية وادارة المصالح الادارية لحين تشكيل وزارة جديدة ..

وبعد خروجهم جاءته برقية من ضباط الآيات الاسكندرية بأنهم لا يرضون البتة غير عرابى باشا ناظرا للجهادية وان مضت ١٢ ساعة ولم يرجع الى منصبه ، كانوا غير مسئولين عما يحدث مما لا يستحب وقوعه ..(١٠) ..

واحدثت هذه الأنباء اضطرابا عظيما فى جميع بلاد القطر المصرى .. وحضر الى العاصمة جميع أعيان البلاد ومستخدمى الحكومة وقدموا لأحمد عرابى باشا مئات من العرائض بواسطة مديريهم يحتجون فيها على عمل الخديوى ، ويطالبون بأحد أمرين .. اما رفض اللائحة (الانذار الفرنسى الانجليزى) أو عزل الخديوى توفيق الذى قبل تدخل الآجانب فى أحوال البلاد الداخلية .

وفى ليلة السبت ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ دعى احمد عرابى باشا الى منزل محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب ، فتوجه اليه ومعه على باشا فهمى وعبد العال باشا حلمى ومحمد عبيد بك وغيرهم من الضباط حيث وجدوا المنزل غاصا بأعضاء مجلس النواب ومعهم قاضى قضاة مصر الشيخ عبد الرحمن أفندى نافذ والشيخ عبد الهادى الابيارى .. وتم الاتفاق على أن يطلبوا من الخديوى رفض الانذار الثنائى ورجوع احمد عرابى باشا الى نظارة الجهادية أو يعزل عزلا ..

---

(١٠) مذكرات أحمد عرابى ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

وفى أثناء ذلك اجتمع بحديقة المنزل بعض الضباط وأفراد الشعب وطالبوا بعزل الخديوى الذى دعا الأجانب للتدخل فى أمرهم وتهديدهم بأساطيلهم(١١) ..

ودور سلطان باشا رئيس مجلس النواب فى تقديم اللائحة بدا من اقوال محمود سامى البارودى باشا فى التحقيقات . اذ هو سلطان باشا ـ هو الذى أوعز بما جاء بها من اعفاء الوزارة وابعاد احمد عرابى باشا وعبد العال باشا حلمى وعلى باشا فهمى عن البلاد ..

ولذلك ندرك السبب فى عدم استجواب محمد سلطان باشا فى التحقيقات ، رغم أن الاجتماع الذى دار حول التحقيق تم فى بيته وتحت رئاسته .

---

(١١) مذكرات أحمد عرابى ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

الفصـــل الثــالث

مذبحــة الاســكندرية
١١ يونيه سنة ١٨٨٢

لما كان الوطنيون عزلا من السلاح ،
دافعوا عن انفســـــهم بالعصى ..
واجتمع معهم العرب والســودانيون
والصعايدة ..

باستقالة وزارة محمود سامى البارودى باشا فى ٢٧/٥/١٨٨٢ وعدم امكان حل الأزمة الوزارية بقيت مناصب الوزارة شاغرة ٠٠ وتولى الخديوى توفيق سلطة الحكم مؤقتا ، ثم اضطر أن يعيد أحمد عرابى باشا الى وزارة الحربية خوفا من انتفاضة الجيش على الحكومة ، وبقيت الوزارات الأخرى شاغرة ٠٠

وأخذ الأجانب يهاجرون من القاهرة والأقاليم الى الاسكندرية ليكونوا تحت رعاية الأسطولين الانجليزى والفرنسى بمياه الاسكندرية ٠٠ وكان احتشادهم فيها من الأسباب الباعثة على تفاقم الهياج ، لأن أحاديثهم كانت تدور حول اقتراب وقوع القتال(١٢) ٠٠

ومازال الأجانب يتأهبون ويستعدون لايقاد نار الفتنة والناس فى هرج ومرج وخوف شديد من حادث يطرأ حتى كان اليوم الحادى عشر من شهر يونيو سنة ١٨٨٢(١٣) ٠٠

فى هذا الجو عن اضطراب الخواطر وقعت الحادثة المعروفة بمذبحة الاسكندرية ٠٠ ففى يوم الأحد ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ فى نحو الساعة الثانية بعد الظهر وقع شجار بين أحد المالطيين من رعايا

---

(١٢) عبد الرحمن الرافعى بك ، الزعيم احمد عرابى ص ١١٦ ٠

(١٣) مذكرات أحمد عرابى ج ١ ص ١٤٤ ٠

الانجليز وأحد الأهالى يدعى « السيد العجان » ٠٠ كان المالطى هو البادىء فيه بالعدوان ، فقد كان الوطنى صاحب حمار ركبه المالطى واخذ يطوف به من صبيحة النهار متنقلا من قهوة الى أخرى ٠٠ وانتهى طوافه الى حانة « خمارة » قريبة من قهوة القزاز بالقرب من مخفر اللبان بآخر شارع السبع بنات ٠٠ فطالبه الوطنى باجرة ركوبه فلم يدفع له سوى قرش صاغ واحد ٠ فجادله فى قلة الأجر . فما كان من المالطى الا أن شهر سكينا طعنه بها عدة طعنات دامية مات على أثرها(١٤) ٠٠

وقع هذا الحادث فى الزقاق الكائن خلف قهوة القزاز ٠٠ فهرع رفاق القتيل الى ذلك المكان يريدون أن يمسكوا بالقاتل ، ولكنه فر الى أحد المنازل المجاورة ٠ وأخذ المالطيون واليونانيون الساكنون بالقرب من مكان الحادث يطلقون النار على الأهلين من الأبواب والنوافذ ، فسقط كثير منهم بين قتيل وجريح ٠٠ فثارت نفوس الجماهير تطلب الانتقام لمواطنيهم(١٥) ٠٠

ولما كان الوطنيون عزلا من السلاح ، دافعوا عن أنفسهم بالعصى ٠ وكان فيهم الحمارة والحمالون ٠٠ واجتمع معهم العرب والسودانيون والصعايدة فكثرت الغوغاء واشتد اللجب وعلت الضوضاء وسلت الخناجر وأطلق الرصاص واختلط الوطنيون بالأوربيين ٠٠ ولما كثر القتل فى الوطنيين انهالوا على الأوربيين من كل جهة وصوب يضربونهم بالعصى والنبابيت حتى قتلوا منهم نحو مائة نفس ٠٠ وكذلك قتل من الوطنيين بالسلاح نحو هذا العدد ٠٠ وامتدت الفتنة الى الشارع المعروف بشارع السبع بنات(١٦) ٠٠

وامتد الهياج من هذا الشارع الى الشارع الابراهيمى والى شارع الهماميل وشارع المحمودية وجهة الجمرك والمنشية وشارع

---

(١٤) عبد الرحمن الرافعى ص ١١٦ ، ١١٧ ٠

(١٥) المرجع السابق ص ١١٧ ٠

(١٦) مذكرات عرابى ص ١٤٥ ٠

الضبطية « رأس التين » وغيرها من الشوارع التى يقطنها الأوربيون او يمرون منها وقد قتل كثير منهم أمام الضبطية اذ كانوا قادمين من الترسانة عائدين من زيارتهم للبوارج الانجليزية والفرنسية ·· وكان الأوربيون من ناحيتهم يطلقون الرصاص على الآهلين فقتل من الجانبين خلق كثير ··

واذا كان البادىء بالعدوان احد الرعايا المالطيين وقد شاهده بعض الحاضرين يلوذ بالفرار الى منزل يسكنه مواطنوه ، فقد أرسل قسم اللبان الى المستر كوكسن قنصل انجلترا فى الثغر لايفاد احد موظفى القنصلية لكى يخرج المعتدى من ذلك المنزل فحضر المستر كوكسن بنفسه أثناء اشتداد الهياج فأصيب بضربة حجر وعصا ·· جرح بسببها جرحا بليغا ·· وجرح ايضا فى ذلك اليوم قنصل اليونان وقنصل ايطاليا . فكانت اصابة القناصل من مظاهر خطورة الحالة(١٧) ··

كان أكثر الأوربيين متفرقين فى جهات الرمل قصد التنزه واستنشاق النسيم اللطيف هربا من حر المدينة . ولم يكن فى المدينة منهم الا رعاع القوم من المالطيين وغيرهم المهيئين لايقاد نار الفتنة بمعرفة السير مالت والمستر كوكسن من جهة والخديوى وعمر باشا لطفى محافظ الثغر من جهة أخرى بدليل تلغرافات الجفرة (الشفرة) المتبادلة بين الخديوى وعمر لطفى فى ذلك اليوم ، كما ثبت ذلك لدى اللورد تشرشل حين طلب من مجلس البرلمان الانجليزى محاكمة الخديوى ومعاقبته على ذلك ، وبدليل تأخر المحافظ عمر لطفى ومأمور الضبطية السيد بك قنديل عن تدارك اطفاء تلك الفتنة حتى تأججت نيرانها ·· وقد تمارض مأمور الضبطية (الشرطة) المذكور وادعى أنه حدث له شلل فى ذراعه الأيسر ولزم فراشه ليتخلص من المسئولية وليرضى عمر لطفى والخديوى بعدم اجراء ما يلزم اتخاذه من التحوطات لمنع حدوث تلك الفتنة قبل انتشارها(١٨) ··

---

(١٧) عبد الرحمن الرافعى ص ١١٧ ، ١١٨ .

(١٨) مذكرات عرابى ص ١٤٥ .

ولعل الذين عاصروا حريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ يستطيعون ادراك ما حدث منذ مائة عام بالاسكندرية ٠

كان عرابى باشا بالقاهرة حين وقعت الحادثة وقد علم بها تلغرافيا الساعة الخامسة مساء ، فأسف لها اسفا عظيما ٠٠ ولما ذاعت أخبارها فى العاصمة مساء ١١ يونيه قوبلت بالاستياء والاستنكار فى الدوائر الوطنية لما توقعه العارفون من عواقبها الوخيمة ٠٠ وكانت ضربة موجهة الى العرابيين - مثل تلك التى وجهت الى حكومة الوفد سنة ١٩٥٢ - لأن أقل ماتدل عليه ان زمام الامن قد أفلت من ايديهم ، وانها تتخذ حجة ضدهم على أنهم غير قادرين على ضبط الآمن وصيانة الأرواح ، وبخاصة بعد أن أعيد عرابى باشا الى وزارة الحربية وتعهد بكفالة الآمن والنظام ٠ وكانت هذه المذبحة نذيرا للعرابيين بأن البلاد قادمة على خطر كبير اذ لم يكن خافيا أن السياسة الانجليزية قد دبرت الوسائل لوقوعها تحقيقا لأغراضها فى مصر(١٩) ٠٠

ويقول أحمد عرابى باشا « انه لما بلغت مصر تلك الحادثة اضطرب لها أهل العاصمة ونزلت على أسماعهم نزول الصاعقة ، فبادرنا بارسال وكيل الجهادية (وكيل وزارة الحربية) يعقوب باشا سامى ومعه الألاى البيادة الثانى بأمرة خليل بك كامل والألاى الرابع بأمرة عيد بك محمد وبطاريتين طوبجية وألاى سوارى حكمدارية أحمد بك عبد الغفار ليلا الى الاسكندرية تحت قيادة طلبه باشا عصمت . وأمرنا وكيل الجهادية باعادة الآمن الى نصابه باشتراكه مع المحافظ فى ذلك »(٢٠) ٠٠

لقد دبر الانجليز وشركاؤهم مأساة الاسكندرية لتكون حجة لهم على صحة ما يقولون (٢١) ٠٠

---

(١٩) عبد الرحمن الرافعى ١١٩ ، ١٢٠ ٠

(٢٠) مذكرات عرابى ص ١٤٦ ٠

(٢١) محمود الخفيف ، أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه جـ ٢ ص ١٢ ٠

وقد امتنع كارتريت ـ نائب القنصل العام الانجليزى ـ بأمر من جرانفل ـ وزير الخارجية الانجليزية ـ عن تمثيل انجلترا فى لجنة التحقيق التى ألفنها وزارة راغب باشـــا للبحث عن مدبرى حوادث الاسكندرية . ولم يكتف كارتريت بذلك بل راح يثير الشكوك حول اللجنة متهما أعضاءها بممالأة العرابيين خوفا من نفوذ الحزب العسكرى(٢٢) ٠٠

وقد أخطأ عرابى باشا حين أذعن للخديوى توفيق وجعل عمر لطفى ـ محافظ الاسكندرية ـ رئيسا للجنة التحقيق ٠٠ وحين تراخى عن تعقب الجناة مهما كان شأنهم وأن يواجههم بالأدلة ثم يضرب على أيديهم ٠٠

لقد اضطلع أحمد عرابى باشا بحفظ الأمن وتعهد بذلك وكان ـ بعد استقالة البارودى باشا ـ الحاكم الفعلى . بل الحاكم الوحيد وقد أعيد الى منصبه فى الوزارة لهذا الغرض بالذات ٠٠

وفى اليوم الثانى عشـــر من يونيه . وهو اليوم التالى ليوم الفتنة ، ذهب قناصل الدول الى الخديوى توفيق وطلبوا منه تأمين أرواح رعاياهم بمصر وأموالهم وكان ذلك بحضور درويش باشا ـ مندوب السلطان ـ فأرسل الخديوى فى طلب عرابى باشا وأخبره بذلك وطلب اليه « نشر التنبيهات والتأكيدات على كافة العساكر المصرية وضباطهم وأمرائهم الموجودين بمصر والاسكندرية والاقاليم والبنادر بزيادة الدقة والتحفظ(٢٣) ٠٠

أما المسئولية الخاصة فى وقوع المذبحة بالذات فتستطيع أن تتبينها من أن أول من أشعل الفتنة رجل مالطى من رعايا بريطانيا وأخ لخادم القنصل البريطانى ولا يمكن أن يكون هذا من قبيــل المصادفات ، والسياسة البريطانية هى التى استغلت الحادثة وهولت فيها وجسمتها لتتذرع بها الى التدخل المسلح فى شئون البلاد ٠ وقد وصفها المسيو فريسينيه رئيس وزارة فرنسا فى ذلك الحين وصفا

---

(٢٢) محمود الخفيف ص ٢٥ ٠

(٢٣) محمود الخفيف ص ١٢ ـ ١٥ ٠

لا مبالغة فيه ولا تهويل . اذ قال بانها من الحوادث العارضة التى تقع أحيانا فى الثغور التى يسكنها عدة اجناس ، وشبهها بالفتنة التى حصلت قبل عام فى مرسيليا بين العمال الايطاليين والفرنسيين(٢٤)

ولقد ارادت لجنة التحقيق ـ القومسيون ـ أن تتخذ دليلا من الرسالة التى بعث بها أحمد عرابى باشا الى يعقوب باشا سامى وكيل نظارة الجهادية المنتدب فى لجنة التحقيق المشكلة منه ومن بطرس باشا غالى وكيل وزارة الحقانية (العدل) وياور الخديوى توفيق وياور درويش باشا ومندوب قناصل الدول الأجنبية تحت رئاسة محافظ الاسكندرية عمر باشا لطفى ..

والواقع أن هذا الكتاب المرسل من عرابى باشا الى وكيل الجهادية المنتدب فى لجنة التحقيق مما يصح أن يقدمه عرابى باشا دليلا على براءته .. وهذا مما يدل على تخبط اللجنة ـ القومسيون ـ وأنها كانت تريد مجرد الاتهام لعلمها أن الحكم فى نهاية الأمر معروف فلم يكن الغرض الوصول الى الحق وانما هو تحقيق صورى فحسب(٢٥) .. يصلح تكئة لاصدار الأحكام ضد العرابيين ..

وقد كتب بيمان ـ مساعد محامى الزعيم أحمد عرابى ـ أنه يكاد يجزم شخصيا أن الخديوى وعمر لطفى باشا هما مدبرا فتنة الاسكندرية لتكون ضربة لعرابى الذى أعلن قبلها مباشرة أنه يضمن الأمن العام(٢٦) ..

وشهد اللورد كرومر بانه اذا كان كل من الخديوى توفيق وعرابى قد اتهم فى وقت ما بأنه المحرض على مذبحة الاسكندرية ، فان السير فالنت ـ المراقب المالى الانجليزى ـ الذى عرف بهدوئه وحياده نفى عنهما التهمة .. وعلل الحادث بأنه نتيجة طبيعية للغليان السياسى فى ذلك الوقت .. وأنه من جانبه لا يتطرق الشك اليه فى صحة هذا الرأى(٢٧) ..

---

(٢٤) عبد الرحمن الرافعى ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢٥) محمود الخفيف ص ٢٧٣ .

(٢٦) محمود الخفيف ص ٢٩٦ والمرجع المشار اليه بالهامش .

(٢٧) لورد كرومر ص ١٨٣ .

الفصـــل الرابـــع

ضرب الاســكندرية
وخدعة الراية البيضاء
١١ يوليو سنة ١٨٨٢

ان مصر لم تعتد على الانجليز ولم تهدد أساطيلها الحربية . بل هى التى تهددنا بمراكبها الحـــربية ٠٠ فاذا كانت المراكب الانجليزية متخوفة من استحكاماتنا ولم ترد شرا بنا فلتقلع من ميناءنا وتعود الى بلادها بسلام ٠

أحمد عرابى

هذا هو العدوان الذى لا نجد فى تاريخ الحروب أقبح منه أو أشد منه فجورا والذى سوف تنطوى العصور ويظل فى تاريخ الانسانية من أبلغ الأمثلة على ما يفعل الأقوياء بالضعفاء . وفى تاريخ الاستعمار المثل الرائع على ركوب أية وسيلة الى الغاية فى غير مبالاة بما يسمى الشرف أو الحق أو العدالة ..

هذا العدوان الغادر الشنيع هو اطلاق المدافع من الاسطول الانجليزى على مدينة الاسكندرية فى اليوم الحادى عشر من شهر يوليو سنة ١٨٨٢(٢٨) ..

كان الخديوى توفيق قد قبل المذكرة المشتركة ـ اللائحة ـ واستقالت وزارة البارودى باشا فى ٢٦ مايو سنة ١٨٨٢ . ثم اضطر الخديوى الى اعادة عرابى باشا بعد يومين فقط وزيرا للجهادية لحفظ الأمن والنظام ..

وقد سعى قنصلا المانيا والنمسا لدى الخديوى ـ باتفاقهما مع مندوب تركيا ـ للتقريب بين الخديوى وأحمد عرابى باشا وترغيبه فى تاليف وزارة جديدة يبقى فيها عرابى باشا وزيرا للحربية .. واتصلوا بعرابى باشا وتفاوضوا معه حتى استقر رأيهم على النصح

---

(٢٨) محمود الخفيف ص ٧ .

الخديوى توفيق باختيار اسماعيل راغب باشا رئيسا للوزارة وفيها أحمد عرابى باشا وزيرا للحربية كما كان[٢٩] ..

وقد رأينا انعام السلطان العثمانى على عرابى باشا بالوسام المجيدى الأكبر . وفى ذلك معنى هو أن عرابى باشا لم يكن بالمتمرد ولا بالمتسلط بل انه الرجل الذى لاذ به الجميع لحفظ النظام ، وبذلك فلا وجه لما يذيعه الانجليز عن خطر الحزب العسكرى فى مصر[٣٠] .

ولكن انجلترا لم تكن لتترك وزارة راغب باشا لتعيد الأمور الى نصابها وتزيل كل الآثار السيئة التى نجمت عن حوادث ١١ يونيه .. فانها - انجلترا - بعد أن دبرت مذبحة الاسكندرية أبت الا أن تستغلها دون نزاهة ولا هوادة حتى تصل الى احتلال مصر .. وهو الهدف الذى بدأت تسعى اليه منذ الحملة الفرنسية على مصر .. وفشلت فى محاولتها الأولى لتحقيقه بهزيمة حملة فريزر سنة ١٨٠٧ ..

فقد كانت السياسة الانجليزية قد حددت سياستها نحو مصر التى تتلخص فى الانفراد باحتلال مصر وتحين الفرصة لذلك . وهى فى الواقع سياسة قديمة ترجع الى حملة نابليون على هذه البلاد ، وقد نشطت نشاطا عظيما منذ فتحت قناة السويس ..

وكان امام انجلترا فى الخارج عقبتان : موقف فرنســـا من المسألة المصرية .. وحق تركيا صاحبة هذه البلاد - فى ذلك الوقت - وفى الداخل عقبة كؤود هى الحركة القومية بزعامة أحمد عرابى . وكان سبيلها فى الخارج المراوغة والتربص .. وسوف يكون سبيلها فى الداخل البغى والعدوان[٣١] ..

---

(٢٩) عبد الرحمن الرافعى ص ١٢٤ .
(٣٠) محمود الخفيف ص ١٢ .
(٣١) محمود الخفيف ص ٨ .

وكان مسيو دى فرسينيه رئيس وزراء فرنسا قد دعا الدول الأوروبية الكبرى فى ذلك الوقت الى عقد مؤتمر دولى بالأستانة - استانبول - للنظر فى المسألة المصرية · وهذه الدول هى انجلترا والمانيا والروسيا وايطاليا والنمسا ·· وقد رفضت تركيا فكرة المؤتمر واكتفت بايفاد مندوبها درويش باشا الى مصر خاصة بعد اعادة الأمن الى نصابه بتأليف وزارة اسماعيل راغب باشا واضطلاعها بأعباء الحكم ··

وكان اقتراح مسيو فرسينيه بغرض أن يحول بين انجلترا وبين الانفراد بالعمل ··

غادر الخديوى توفيق القاهرة فى اليوم الثالث عشر من يونيه الى الاسكندرية بحجة الاصطياف حسب عادته كل عام . وصحبه درويش باشا مندوب السلطان · وقد ودعه عرابى باشا فى المحطة ، وقبل تحرك القطار أوصى الخديوى عرابى باشا بالسهر على الأمن وأخذ الحيطة لمنع وقوع أى حادث ··

وقد استراب الناس فى سفر الخديوى فجأة عقب الفتنة وفسروا ذلك بأنه أراد أن يبتعد عن أحمد عـرابى وحزبه ليكون فى حمى الأسطولين - الانجليزى والفرنسى - بالاسكندرية · وأحسوا فى هذا السـفر المفاجىء شيئا من الخوف وقالوا أن الخديوى على علم بقرب وقوع الحرب(٣٢) ·

كانت انجلترا قد أعدت بالفعل تدبير « الظرف القاهر » الذى يسوغ لها العمل منفردة ·· ففى ١٨٨٢/٥/٢٩ أبلغ سير سيمور أدميرال الأسطول الانجليزى بالاسكندرية اللورد جرانفل - وزير خارجية انجلترا - أن المصريين يقيمون تحصينات على شواطىء الإسكندرية وان هذا يعد عملا عدائيا موجها ضد الأسطول ··

---

(٣٢) محمود الخفيف ص ١٦ .

وسألت انجلترا الباب العالى ـ السلطان العثمانى باستانبول ـ عما يراد بهذا الاجراء ، فردت تركيا بأنه لا تحصين هناك ولا استعداد وانما هو اصلاح فى بعض الحصون المتهدمة · ومع ذلك فقد أمرت تركيا بوقفه ··

ولكن الأدميرال سيمور عاد فى أول يوليو فأبرق الى سكرتارية الأدميرالية أن عرابى يستعد بجمع السلاح والرجال ··

وفى ١٨٨٢/٧/٣ تلقى الأدميرال سيمور هذه البرقية الخطيرة « امنع كل محاولة لسد البوغاز الى الميناء ، واذا استونف العمل فى التحصينات أو اذا وضعت مدافع جديدة ، فبلغ القائد الحربى بأن لديك أوامر بمنع ذلك · فاذا لم يوقف ذلك فورا فحطم التحصينات وأسكت البطاريات اذا أطلقت نيرانها (٣٣) ·

وفى ١٨٨٢/٧/٦ أرسل الأدميرال الانجليزى الى قائد حامية الاسكندرية ـ طلبه باشا ـ يطلب ايقاف التحصينات ، ثم أرسل اليه مرة ثانية فى نفس اليوم بأنه قد علم من مصدر رسمى أن مدفعين أو أكثر أضيفا الى خطوط الدفاع البحرية وأن استعدادات حربية يجرى عملها فى الواجهة الشمالية للاسكندرية ضد الأسطول الذى تحت قيادته ·· وأنه يرى لزاما عليه ، والحالة هذه ، أن ينبه الى أنه اذا لم توقف هذه الأعمال ، أو اذا أوقفت ثم استؤنفت · فان واجبه يقضى بأن يطلق مدافعه على الأعمال الجارى بناؤها ··

ورد طلبه باشا على ذلك مؤكدا أنه لا أساس من الصحة لهذه الأخبار وأنها من قبيل خبر التهديد بسد مدخل البوغاز الذى سبق ابلاغه به وتحقق من كذبه ··

وأكد درويش باشا ما رد به طلبه باشـا · بل أن الأدميرال الانجليزى نفسه قرر أنه لم يلاحظ عمليات منذ يوم ١٨٨٢/٧/٥ بعد الظهر ·· وجاء فى برقيته للأدميرالية أن وقف العمليات منذ التاريخ

---

(٣٣) محمود الخفيف ص ٤١ والمرجع المشار اليه بالهامش ·

الذى أشار اليه ربما كان تنفيذا لامر السلطان ·· وفى هذا دليل ، بل اعتراف منه ، بأن العمليات أوقفت(٣٤) ··

وكان قد جاء تلغراف من الصـــدر الأعظم ـ الوزير الأول للسلطان ـ الى الخديوى توفيق باشا يذكر به أن « باشكاتب السفارة الانجليزية حضر الى الباب العالى واخبره أن الجهادية المصرية تهدد الأساطيل الانجليزية فى ثغر الاسكندرية بتحصـــين القلاع واقامة الحصون وفى ذلك تهديد للدونمة الانجليزية . فان لم تكف الجهادية عن تقوية الاستحكامات وتمسك عن تعزيز حصونها من غير ابطاء ، اضطر الأميرال سيمور الى اطلاق مدافعه على الاسكندرية فيدكها ويهدمها عن آخرها ·· » .

وقد أرسل الخديوى توفيق باشا هذا التلغراف الى عرابى باشـــا ليجيب عليه ·· فكتب اليه ·· « بأن مصـــر لم تعتد على الانجليز ولم تهدد أساطيلها الحربية بل هى التى تهددنا بمراكبها الحربية ، وكل ما فى الأمر أن الجارى فى الاســـتحكامات انما هو ترميم المختل منها على حسب العادة السنوية . واذا كانت الدونمة الانجليزية متخوفة من استحكاماتنا ولم ترد شـــرا بنا فلتقلع من مينائنا وتعود الى بلادها بسلام . وانى ليدهشـــنى احجام الباب العالى عن اجابة السفارة الانجليزية بذلك ·· »(٣٥) .

ورغم ذلك كله فقد بعث الأدميرال العظيم ·· صـــباح يوم ١٨٨٢/٧/١٠ باندار الى طلبه باشا يخطره فيه بانه ·· لما كانت الاستعدادات العدائية الموجهة ضد الأســـطول الذى يتولى قيادته آخذة فى الازدياد طول نهار اليوم السابق فى حصون صالح وقايتباى والسلسلة ، فقد عقد العزم أن ينفذ فى اليوم التالى ـ ١١ يوليو ـ عند شروق الشمس ماسبق أن أعرب عنه من عمل فى كتابه المؤرخ

---

(٣٤) محمود الخفيف ص ٤٣ .

(٣٥) مذكرات أحمد عرابى ص ١٦٢ .

٦ يوليو وذلك ان لم يسلموا اليه فى الحال قبل تلك الساعة البطاريات الموضوعة فى شبه جزيرة رأس التين وعلى شاطىء ميناء الاسكندرية الجنوبى بقصد تجريدها من السلاح(٣٦) ..

وكان الخديوى توفيق قد استدعى المستر كولفن المراقب المالى الانجليزى واتفق معه على أن يبارح ســـراى رأس التين ويتوجه بعائلته الى سراى الرمل فى يوم ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ لأن ضرب الاسكندرية سيكون فى صباح يوم صباح يوم ١١ منه(٣٧) ..

واخذت السفن والمراكب الراسية فى الميناء فى الخروج منها ، وذهب الأسطول الفرنسى قاصدا بورسعيد تاركا الأسطول الانجليزى وشأنه يتصرف فى الادعاء على المصريين بما يوحيه اليه الأدميرال سيمور ، وبما يروق فى أعين رجال الحكومة الانجليزية من الظلم والعدوان(٣٨) ..

وانعقد فى نفس اليوم ـ ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ ـ مجلس فوق العادة من النظار وغيرهم من الذوات الاختيارية تحت رئاسة توفيق باشا الخديوى بحضرة المندوب السلطانى درويش باشا وقدرى بك سكرتيره والسيد أحمد أسعد وكيل الفراشة النبوية عن الحضرة السلطانية المرسل مع درويش باشا للنظر فى المسألة المصرية التى ابتدعتها المطامع الانجليزية ..

ولما تلى كتاب الأميرال سيمور المرسل الى طلبه باشا قومندان المدينة ، تقرر بالمجلس المذكور بانه لا يمكن اجابة طلب الأميرال سيمور لما فى ذلك من الخزى والعار الذى يلحق بالمصـــريين الى الأبد .. حيث أن الاستحكامات والطوابى المذكورة ما أنشئت الا

---

(٣٦) محمود الخفيف ص ٤٥ و ٤٦ والمرجع المشار اليه بالهامش .

(٣٧) مذكرات احمد عرابى ص ١٦٣ .

(٣٨) مذكرات احمد عرابى ص ١٦٧ و ١٦٨ .

لحفظ الثغور . والعساكر ما وجدت الا للدفاع عن الوطن العزيز والذود عن حياضه ، فلا يجوز لهم ان يخربوا معاقلهم بايديهم لمجرد طلب العدو الطامع فى بلادهم ، بل الواجب عليهم ان يدافعوا عن بلادهم ويقوموا بما تحتمه عليهم واجباتهم الحربية الى آخر رمق من حياتهم دفاعا عن شرف الوطن • ولكن قفلا لباب السر وقطعا لاحتجاجات الأميرال ســيمور رئيس الدونتمة الانجليزية روى أن يرسل له وفد مؤلف من عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية وقاسم باشا وكيل البحرية السابق ومحمد كامل باشا وكيل البحرية حينذاك وتكران بك باشكاتب مجلس النظار ويتلطفوا معه فى المقال ويوضحوا له بأن المصريين ليسوا أعداء للانجليز ، وأنه لا يمكن سد البوغاز بالاحجار كما قيل وأنه يمكن ضبط المراكب المشحونة بالأحجار عند شروعها فى العمل ان وجدت ..

واما انزال المدافع فهذا أمر لا يمكن قبوله لما فيه من مخالفة قوانين البحرية ولما يتبع ذلك من الاهانة والذلة . وانما يمكن اجابة لطلبه وفضا للاشكال تنزيل ثلاثة مدافع من ثلاث طوابى احداها طابية المكس والثانية طابية صالح والثالثة طابية برج السلسلة ، وأن يكتفى بذلك ردا لشرف الدونتمة كما يزعم •

فذهب الوفد وابلغ الرســالة ثم رجع واخبر بأن الأميرال المذكور لم يقبل ما عرض عليه ، وصمم على وجوب انزال جميع المدافع كما طلب . وانما تكرم بأن عاق (اعفى) عساكره البحرية من معاناة مشقة انزال المدافع وتخريب الطوابى وسمح للعســاكر المصرية بان يعانوا هذه الاعمال ويخربوا معاقلهم بأيديهم • وزاد على ذلك بأنه يطلب من الحكومة المصرية أمرا صريحا باعطائه طابية المكس وما وراءها من الأراضى ، وطابية العجمى وطابية باب العرب لاتخاذها معسكرا للعساكر الانجليزية ، وأنه اذا لم يجب الى طلباته المذكورة باشر القتال عند طلوع الشمس فى يوم غد .. وحيث ان طلباته غير قانونية ولا يمكن قبولها بوجه من الوجوه خصوصا (خاصة) وان الفرمان السلطانى يحجر على الخديوى التصرف فى اعطاء قيد شبر من الأراضى المصرية وملحقاتها الى

دولة أجنبية . فلذا تقرر رفض طلبات الاميرال واعلان حكومة الباب العالى بذلك حيث أنها صاحبة البلاد المصرية . ويكون اخطارها تلغرافيا مع الاستعداد للحرب بشرط أن لا يبتدأ به امن جهتنا الا بعد اطلاق ثلاثة جلل (ثلاث طلقات) من جهة العدو المعتدى . وفى حالة وقوع الحرب حقيقة تعلن الأحكام العرفية فى جميع البلاد المصرية . وبعد ذلك انفض المجلس ثم انتقل الخديوى ودرويش باشا ومن معهما من رأس التين الى سراى الرمل فى أصيل اليوم المذكور عملا برأى المستر كارترايت(٣٩) نائب القنصل العام الانجليزى ..

كان للاسكندرية فى ذلك الوقت عدة حصون وقلاع ومتاريس وأبراج مستديرة ، ولكن أكثرها مسلحة (مجهزة) بالأسلحة القديمة . فى الجهة الغربية ازاء ممر مريوط حصن مريوط وهو يقع فى الجزيرة المسماة بهذا الاسم . ووراءه حصن العجمى ، ثم حصن المكس ويقع على مرتفع من الأرض .. وعلى طول خط المرفأ القديم الى الميناء عدة متاريس واستحكامات هى طابية القمرية وطابية أم كبيبة ـ أو أم قبيبة ـ ثم برج مستدير وحصن صالح المسمى بطابية صالح . أما الجهة الأخرى من المرفأ القديم ففيها قلعة الفنار وهى قلعة مشرفة على الميناء الداخلية . وفى رأس التين عدة بطاريات مسماة باسمها . وفى الجهة الشرقية يوجد الحصن المعروف بحصن قايدباى (قايتباى) وهو مبنى بالحجر لحماية مدخل الميناء الشرقية . ويشترك معه فى هذه الحماية الحصن المعروف بحصن نابليون (كوم الناضورة) القائم على رأس شبه جزيرة ضيقة فى الجهة الأخرى من الميناء المذكورة ، ممتدا الى داخل البحر يحميه حصن منهم يعرف بطابية السلسلة(٤) .

ولم يكن يوجد بالاسكندرية من حاميات الحصون المصرية غير ٧٠٠ رجل فقط من رجال المدافع ، ولذلك وزعت عساكر الطوبجية

---

(٣٩) مذكرات أحمد عرابى ص ١٦٨ و ١٦٩ .

(٤٠) المرجع السابق ص ١٧٣ ـ ١٧٥ .

البرية وعساكر البيادة (المشاة) على الحصون والقلاع الموجودة على خط النار ٠ وكان مجموع العســاكر الذين وجدوا فى ثغر الاسكندرية يوم قتال الانجليز اثنى عشر الفا وسبعمائة(٤١) ٠

أطلقت البارجة ألكسندرة مدفعها الأول فى الساعة الســابعة والدقيقة اربعة من صباح ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وتلتها باقى المدرعات الانجليزية بطلقات عديدة ٠٠ وبعد خمس دقائق أجابتها القلاع بنار شديدة حامية ، واستمر القتال على هذا الحال الى قبيل الغروب حتى تهدمت الاستحكامات وتعطلت المدافع من جراء مقذوفات المراكب الهائلة ٠ ومن الأسف أن مقذوفات المدافع القديمة كانت لا تصل الى المراكب الانجليزية ومدافع الأرمسترونج (الأحدث والأبعد مدى) لم تكن لها مســاطر تعرف بها المســافات وتحكم الاصــابة بواسطتها(٤٢) ٠٠

وفى أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنســاء فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم فى تقديم الذخائر واعطائهم الماء وحمــل الجرحى منهم وتضميد جراحهم ونقلهم الى المســتشفيات ٠ وقد استشهد فى ذلك اليوم من جميع الطوابى مائة رجل وامرأتان من المتطوعات اللواتى كن يضمدن جراح الجرحى(٤٣) ٠

وكان الزعيم أحمد عرابى مع جميع النظــار فى طابية كوم الدماس (كوم الدكة) للاشراف على مواقع القتال ، فكتب راغب باشا رئيس النظــار الى جميع مصــالح الحكومة والمديريات والمحــافظات يعلنها بانتشاب (بنشــوب) الحرب بين الانجليز والمصريين ظلما وعدوانا بلا سبب معقول وأن البلاد جميعها صارت تحت الادارة العرفية والأحكام العسكرية ٠٠

---

(٤١) مذكرات عرابى ص ١٧٦ ٠

(٤٢) مذكرات عرابى ص ١٧٧ ٠

(٤٣) مذكرات عرابى ص ١٧٨ و ١٧٩ ٠

وقبيل غروب شمس ذلك اليوم حضر طه باشا لطفى وسليمان باشا اباظة وحسين بك الترك من قبل الخديوى توفيق ومحيى الدين بك ياور من قبل درويش باشا وهو ياور المندوب السلطانى المذكور ليبلغوا أحمد عرابى باشا سلام الخديوى ودرويش باشا وثناءهما على صبر العساكر وثباتهم العجيب تجاه قوة الدوارع الهائلة(٤٤) ٠

وفى اليوم نفسه حضر محمود باشا سامى البارودى من القاهرة للاشتراك فى الدفاع عن البلاد وبعد الغروب توجهوا جميعا مع النظار الى سراى الرمل وعرضوا على مسامع الخديوى ودرويش باشا ماحصل فى ذلك اليوم وان الاستحكامات تخربت والمدافع تعطلت ٠٠فحصلت المداولة فى هذا الشان بالمجلس تحت رئاسة الخديوى بحضور درويش باشا ورئيس مجلس النواب ـ محمد سلطان باشا ـ وتقرر فية بأنه اذا عاودت المراكب الانجليزية الضرب فى صباح ١٢ يوليو فلا تجاوبها القلاع بل ترفع الراية البيضاء علامة للمخابرة مع الأميرال فى توقيف الحرب واعادة الصلات الودية حيث قد تحصل الأميرال سيمور على غرضه بتخريب القلاع وتعطيل المدافع(٤٥) ٠٠

وفى صباح اليوم المذكور ـ ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ اطلقت البوارج الانجليزية مدافعها على القلاع فرفعت هذه الراية البيضاء علامة للمخابرة ٠ وتقرر ارسال طلبه باشا عصمت الى الأميرال سيمور لابلاغه ما تقرر من ايقاف الحرب واكتفاء بما حصل من التخريب والدمار ٠ فذهب وقابل مندوب الأميرال فى الترسانة وأخبره بما ذكر . ثم توجه المندوب المذكور برفاص صغير (زورق بخارى) الى الأميرال المذكور وأخبره بما تلقاه من طلبه باشا فلم يقبل ولم يرجع بالجواب الا بعد العشاء ٠ فذهب طلبه باشا الى الخديوى وأخبره بما كان من عدم قبول الأميرال واصراره على الرفض ، ثم عاد وأخبر أحمد عرابى باشا بما حصل(٤٦) ٠٠

---

(٤٤) مذكرات عرابى ص ١٧٨ و ١٧٩ ٠

(٤٥) مذكرات عرابى ص ١٧٣ ٠

(٤٦) مذكرات عرابى ص ١٨٠ ٠

كان الأميرال قد طلب ــ على لسان مندوبه ــ الترخيص له بانزال جند من بحارة السفن لاحتلال ثلاث قلاع هى العجمى والدخيلة والمكس ، فان لم يأته الرد فى الساعة الثانية بعد الظهر اســتانف الضرب ..

وعند عرض الأمر على الخديوى اجتمع لديه مجلس ضــم الوزراء والكبراء ممن تصادف حضورهم واتفق رأى الحاضرين على أنه لا يجوز لمصر أن تسمح بنزول جنود أجنبية الى البر .. وذهب وفد برئاسة طلبه باشا يبلغ سيمور بهذا القرار ..

ولكن الوفد لم يجد أحدا يتصل به اذ عاد مندوب سيمور الى السفن ، وأمر سيمور فى نحو الساعة الرابعة مســاء باستئناف الضرب . فأرسلت المدرعة أنفنسبل قذيفة واحدة على قلعة المكس فلم تجاوب القلعة . ثم رفعت الراية البيضـــاء ثانية على بعض الطوابى ، فوقف الضرب . وظلت الســـفن فى موقف القتال حتى الساعة السادسة مساء ، وارسل سيمور سفينة الى الميناء وبها مندوب من قبله فلم يجد المندوب أحدا يتفاوض معه ، فعاد ينبىء الأدميرال بأن المدينة تبدو وكأن ليس بها أحد[٤٧] ..

وكان رفع الراية البيضاء فى المرة الأخيرة هو موضوع أحد الاتهامات التى وجهت الى الزعيم أحمد عرابى بعدم مراعاة القانون الحربى الخاص برفع الراية البيضاء ..

فقد أيقن عرابى باشا وأصحابه أن الحرب غدت أمرا محتما بين الأمة المصرية وبين انجلترا . ورأوا أن الاسكندرية لا تصلح

---

(٤٧) محمود الخفيف ص ٧٩ و ٨٠ .

ميدانا للقتال ، وأن الدفاع عنها بعد تحطيم حصون الشـــواطىء مستحيل ، وهو أكثر اســـتحالة بعد انضـــمام الخديوى توفيق ـ صراحة ـ الى الانجليز ..

وكان الخديوى يأمل أن يدافع عرابى زمنا عن قلعة العجمى وبذلك يســـتطيع الانجليز أن ينزلوا جندا يقطعون عليه الطريق ويأسرونه فى الاسكندرية .. فلو أن قوة صغيرة نزلت من السفن واستولت على السكة الحديد لقطعت طريق ارتداده .. ولقد كان من المؤكد فى خطة الانجليز أنهم كانوا يريدون تطويق عرابى باشا اذا أمكن ، وربما كانت تلك الحمية التى بدت فى الدفاع على غير ما كان منتظرا ، أو كانت خدعة الراية البيضاء هى التى حالت بين سيمور وبين انزال جنده ..

لذلك حنق توفيق على عرابى باشا لانسحابه ، ولم يكن مبعث حنقه أنه ترك المدينة بغير دفاع كما سيزعم عند الضرورة[٤٨] .. فيما بعد ..

كان مؤتمر الأستانة قد فكر طويلا فى التدخل المسلح فى مصر .. وقد اتخذ قراره كيف يكون هذا التدخل . ولكنه ما فكر لحظة أنه يتدخل لقتل حركة قومية صادقة فى مصـــر قوامها الحرية والحكم الدســـتورى . واذا كانت انجـــلترا ـ موطن الحكم النيـــابى والديمقراطية ـ قد أذهلتها عن مبادئها أطماعها الاستعمارية فجعلتها ـ كعادتها فى كل مواقف الاستعمار ـ ذات سياستين .. صراحتها ونزاهتها فى حكم نفسها ، ونفاقها وفجرها فى معاملة الأمم وخاصة أهل الشرق[٤٩] ..

---

(٤٨) محمود الخفيف ص ٩٣ و ٩٤ .

(٤٩) محمود الحيف ص ٣٩ .

فهل يعقل أن تكون قلاع الاسكندرية هى المعتدية على بوارج الأسطول ٠٠ والقلاع لم تنتقل اليها لتضربها ، وانما جاءت السفن الحربية تهدد المدينة والمؤتمر الدولى قائم فى الآستانة ٠٠ ينظر فى المسألة المصرية !!(٥٠) ٠

لقد قرر دى فرسينيه رئيس وزراء فرنسا فى كتابه « المسألة المصرية » أن ضرب الاسكندرية فى الظروف التى وقع فيها انما كان عملا هجوميا لا دفاعيا وأن البوغاز لم يشرع فى سده فى وقت من الأوقات(٥١) ٠٠

كما أكد الأدميرال الفرنسى كونراد وهو يصف تحرش سيمور، بأنه لم يشاهد أى عملية فى الحصون(٥٢) ٠٠

ويقول جون نينيه فى كتابه « عرابى باشا » وقد حضر ضرب الاسكندرية ٠٠ « انى أؤكد بشرفى ما تحققته اذ كنت أزور الحصون يوميا بصحبة كبار الضباط ٠٠ انه منذ مجىء أوامر السلطان بالكف عن الترميمات لم يطرأ أى تغيير على أية بطارية من جهة الميناء أو على البحر ، ولم يحصل أى ترميم فى الحصون ، ولم ينصب فيها أى مدفع جديد(٥٣) ٠٠

---

(٥٠) محمود الخفيف ص ٤٧ ٠

(٥١) محمود الخفيف ص ٤٦ والمرجع المشار اليه بالهامش رقم ٢ ٠

(٥٢) محمود الخفيف ص ٤٦ والمرجع المشار اليه بالهامش رقم ٣ ٠

(٥٣) محمود الخفيف ص ٤٦ والمرجع المشار اليه بالهامش رقم ٤ ٠

الفصــل الخــامس

حــريق الاسكندرية
١٢ يوليو سنة ١٨٨٢

ان الانجليز الذين دبروا من قبــل
مذبحة الاسكندرية وألصقوها باحمد
عرابى باشا وحـــزبه ، قد أحرقت
قذائفهم المدينة فعادوا يتهمون عرابى
ورجاله بالحريق كذلك ..

محمود الخفيف

اوقف الضرب من جانب الأسطول الانجليزى فى نحو الساعة السادسة مساء وقد بث الادميرال سيمور الموت والدمار فى انحاء المدينة وهو الذى تعهد الا يضرب الا القلاع ‥ ورايت النيران تندلع السنتها فى جهات كثيرة دون أن يقوى احد على اخمادها(٥٤) ‥

يقول جون نينيه ان الجند لم يشعلوا نارا بالمدينة بل لقد بذلوا كل ما فى وسعهم لمنع امتداد النيران التى سببها الضرب ‥ ومن الممكن أن يكون بعض جنود الفرقتين اللتين تركتا بالمدينة قد شاركوا البدو — من قبيلة أولاد على — فى النهب ۰ وكان هذا مخـــالفا بالضرورة لأوامر عرابى باشا والضباط ‥ وانه يعلم ان عرابى باشا ومن كان معه من الضباط اظهروا أسفهم ودهشتهم عند رؤيه المدينة تحترق عقب مغادرتهم اياها ، وعبروا عن املهم فى ان يبذل ذو الفقار باشا محافظ المدينة ومن اكبر اصـــدقاء الخديوى ما فى وسعه لاخماد النار واعادة النظام ‥

ان عدة عناصر اشتركت فى هذا الحريق منها بعض الأوربيين الذين بقوا فى المدينة بقصد النهب ومنها بعض الأروام (اليونانيين) والمالطيين من اصحاب الدكاكين كى يطلبوا بعد ذلك تعويضا كبيرا

---

(٥٤) من وصف جون نينيه السويسرى لضرب الاسكندرية فى كتابه « عرابى باشا » .. محمود الخفيف ص ٧٦ ۰

ومنها بعض البدو من قبيلة أولاد على وبعض عســاكر الرديف (الاحتياط) وبعض الاشقياء الذين اخرجوا من سجن الترسانة(٥٥) ·

ويقول الامام الشيخ محمد عبده أن بين من حرقوا الاسكندرية أروام (يونانيون) بلباس عــرب رؤيت جثثهم بتلك الثياب اثناء الحـــريق ، ومنهم عربان من أولاد على ممن كانوا على صــلة بالخديوى . ومنهم من اهالى الاسكندرية ومنهم أوربيون بقصــد المبالغة فى التعويضات وذلك بعد ما اخليت الاسكندرية ممن يخشى عليهم(٥٦) ··

وهناك رأى يذهب الى أن سليمان سامى داود قائد الالاى السادس هو الذى امر جنوده باضرام النار فى المدينة كعمل يقتضيه الدفاع لعرقلة نزول الانجليز الى المدينة · وهذا رأى يستند الى اقوال سليمان سامى فى التحقيق متهما أحمد عرابى باشا بانه هو الآمر بحرق المدينة ليتنصل هو من التبعة ·

س ــ هل كان عرابى أعطاك امرا بالكتابة بحرق المدينة ؟

ج ــ أمرنى شفويا(٥٧) ··

وقد كتب الزعيم احمد عرابى فى مذكراته « بلغنى أن سليمان بك سامى هائج هياجا شديدا وانه قد حضر ومن معه من العساكر الى المنشية وانه يريد حرق الاسكندرية قبل تركها للعدو وان عساكره كسرت بعض الدكاكين واخذت منها بعض الاقمشة فأرســلت اليه

---

(٥٥) محمود الخفيف ص ٨٢ والهامش رقم ١ بها .
(٥٦) محمود الخفيف ص ٨٢ والمرجع المشار اليه بالهامش رقم ٢ .
(٥٧) محمود الخفيف ص ٨٣ .

ابراهيم بك فوزى وعمر بك رحمى وغيرهما من الضباط لمنعه عما عزم عليه واخطاره بسرعة الحضور الينا بمن معه من العساكر · فحضر ولما سالته عما نسب اليه انكره كل الانكار ·· ثم توجه الى عساكره وجمع ما وجده معهم من الاقمشة واشعل فيها النار · ولما رأيت ذلك وبخته كثيرا وبرأت من عمله هذا الى الله واشهدت عليه الأرض والسماء وجميع الحاضرين بأنه هو المســئول عن عمله الفظيع دون غيره(٥٨) ··

ورغم اتهام سليمان سامى للزعيم احمد عرابى بانه هو الذى امره بحرق الاسكندرية ، نجد أن عرابى باشا يدافع عنه وينفى عنه تهمة حرق المدينة بقوله ان سليمان بك سامى لما شاهد هول تأثير مقذوفات سفن الانجليز حدث له هلع وطيش اثر على مخيلته فصار يتحفز ويميل لعمل غير العقلاء فبدرت منه كلمات تدل على جنونه كقوله : احرق واضرب ياولد ، فى حالة هياجه ، وقوله : انى امرته بكل ما يتخيله فى مخيلته ·· ولكن اجمعت الشهود على أنه لم يفعل من ذلك شــيئا وأنه خرج بالايه من المدينة قبل الغروب وأنه ترك المنشية وخرج الى باب شرقى الساعة ١١ عربى (الساعة ٦ مساء تقريبا) ولم يعد اليها وان الحريق لم يبتدىء الا بعد الغروب وبعد خروج العســاكر من المدينة ، وان الحريق لم يكن الا من اوباش (رعاع) الخدم والبدو وغيرهم من الاوربيين(٥٩) ··

وهنــاك رأى آخر ـ على أعظم جانب من الخطورة ـ ان سليمان سامى كان متواطئا مع الخديوى توفيق وانه أحرق المدينة بأمره ·· وقد صرح بهذا اللورد تشرشل فى مجلس العموم الانجليزى

---

(٥٨) مذكرات أحمد عرابى ص ١٨٠ و ١٨١ ·

(٥٩) محمود الخفيف ص ٨٣ و ٨٤ ·

سنة ١٨٨٢ بعد اعدام سليمان سامى بقوله ٠٠ « ان الخديوى الذى كان يرغب فى الذهاب الى الاسكندرية يوم الآحد ما استساغ الدخول اليها قبل موت سليمان سامى الا لكى يرى بعينيه شنق الرجل الذى أحرق الاســـكندرية بأمره وطاعته ٠٠ ان الحكومة الانجليزية قد عجلت بشنق سليمان ســامى قبل أن يبوح بأســـرار خطيرة تدين الخديوى »(٦٠)

ان الانجليز الذين دبروا من قبل مذبحة الاسكندرية والحقوها باحمد عرابى وحزبه قد احرقت قذائفهم المدينة فعادوا يتهمون عرابى باشا ورجاله بالحريق كذلك(٦١) ٠٠

لقد اعترف اللورد كرومر بانه قد قيل أن قنابل الاسطول هى التى اشعلت الحرائق فى الاسكندرية وأن الحكومة البريطانية لم تسلم يومئذ من اللوم الشديد لكونها لم تتخذ اجراءات حازمة لاطفاء النيران عقب الضرب مباشرة(٦٢) ٠٠

---

(٦٠) محمود الخفيف ٨٣ ـ ٨٥ ٠
(٦١) محمود الخفيف ص ٧٦ ٠
(٦٢) لورد كرومر ص ١٩٤ و ١٩٥ ٠

الفصل السادس

المجلس العرفى

هل يقدر أحد أن يشك فى كون جهادنا
وطنيا صرفا بعد أن آزره رجال من
جميع الأجناس والأديان .. فكان
يتألب المسلمون والمسيحيون
والاسرائيليون لنجدته بحماس غريب
وبكل ما أوتوه من حول وقوة
لاعتقادهم أنها حرب بين المصريين
والانجليز

الامام الشيخ محمد عبده

فى ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ أرسل الزعيم أحمد عرابى خطابا خطيرا الى يعقوب سامى باشا وكيل وزارة الجهادية بالقاهرة يعلن اليه فيه خيانة الخديوى توفيق للبلاد وأنه سبب ما نزل بها من الكوارث ويدعوه الى عقد جمعية من الكبراء والعلماء للنظر فى الامر واصدار قرار بشأن الخديوى وفيما يجب عمله لصالح الأمة وتقرير مدى صلاحية هذا الوالى عليها(٦٣) ..

كان يعقوب سامى باشا من المخلصين للثورة الوطنية ومن أكبر انصار عرابى باشا المتحمسين له .. وكان يكرد أشد الكرد من الخديوى توفيق انضمامهالى الانجليز ويرى أن ذلك خيانة منه للبلاد ..

وتنفيذا لكتاب عرابى باشا اجتمع يعقوب سامى باشا فى نفس اليوم فى مقر وزارة الحربية بقصر النيل مع عدد من صفوة أنصاره وتشاوروا فى الأمر واستقر رأيهم على دعوة مجلس من وكلاء الوزارات وبعض كبار الضباط وكبار الموظفين . وقد انعقد هذا المجلس وعرف باسم المجلس العرفى ، وبقى يدير شئون الحرب والادارة طوال مدة القتال(٦٤) .

---

(٦٣) نشر بالوقائع المصرية عدد ١٨ يوليو سنة ١٨٨٢ .
محمود الخفيف ص ١٠٦ والهامش رقم ٣ .

(٦٤) محمود الخفيف ص ١٠٧ .

دعا يعقوب سامى باشا كثيرا من الذوات والأعيان ٠ وكان عدد الذين لبوا الدعوة نحو ٧٠ شخصا ٠ وتم الاجتماع فى ديوان الداخلية ٠٠ ليلة غرة رمضان سنة ١٢٩٩ هـ ــ الموافق ١٦ يوليو سنة ١٨٨٢ ــ بحضوره وكل من حسين باشـــا الدره مللى وكيل الداخلية وبطرس باشا غالى وكيل الحقانية (العدل) وعلى باشا فهمى وأحمد باشا نشـــأت ناظر الدائرة السنية ودانش باشـــا ومحمود سامى باشا ومحمد باشا رضا وباشكاتب المالية وأحمد بك رفعت رئيس المطبوعات وابراهيم بك فوزى مأمور ضبطية مصر وعلى بك يوسف وأحمد بك فرج وحسين بك جاد ٠

وبعد المداولة قرر المجلس المذكور انعقاد مجلس فى هيئة مؤتمر عام يشكل من أكابر العلماء والرؤساء الروحانيين من الطوائف المختلفة ومأمورى الحكومة الحائزين على الرتبة الثانية فما فوقها وأمراء العائلة الخديوية وأكابر الذوات المتقاعدين وأعيان التجار ٠٠ وان يكون انعقاده فى نظارة الداخلية يوم الاثنين غرة رمضان سنة ١٢٩٩ هـ الموافق ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢(٦٥) ٠٠

وانعقدت الجمعية العامة أو مجلس العموم ــ كما سميت ــ فى مساء الاثنين غرة رمضان سنة ١٢٩٩ فى وزارة الداخلية تحت رئاسة وكيل الداخلية وشهد هذا الاجتماع الخطير نحو ٤٠٠ عضو كان بينهم الأمراء الموجودون بالعاصمة ورؤساء الأديان الثلاثة وفى مقدمتهم الشيخ الامبابى شيخ الاسلام . ثم كبار العلماء وقاضى قضاة مصر ومفتى الديار المصـــرية والنواب ووكلاء الوزارات والقضاة وكبار الأعيان والتجار ٠٠

وعرضـــت على أعضـــاء الجمعية البرقيتان المتبادلتان بين الخديوى وعرابى باشا . والبرقية التى أرسلها عرابى باشا الى يعقوب سامى باشا وبعد أن تشاوروا طويلا فى الأمر اتخذوا قرارا

---

(٦٥) مذكرات عرابى ص ١٩٢ ٠

خطـــيرا يدل على قوة روح الأمة ومناصـــرتها المجـاهدين من أبنائها(٦٦) ..

فقد قر رأى الجميع على ما يأتى :

اولا : يلزم طلب حضـــور الخديوى والنظار الى العاصـــمة ان كانوا أحرارا ، ولزوم الاستمرار على التجهيزات الحربية مادامت عساكر الانجليز فى مدينة الاسكندرية ومراكبهم فى مياهها .

ثانيا : تعيين لجنة مؤلفة من مندوبين من طرف المجلس العام ليتوجهوا الى الاسكندرية ويبلغوا سمو الخديوى وحضرات النظار قرار المجلس ثم يدعوهم الى العاصمة ان كانوا أحرارا ..

وقد انتخب المجلس على باشا مبارك رئيســـا لهذه اللجنة وعضوية رؤوف باشا حاكم السودان سابقا وأحمد بك السيوفى من الأعيان والشيخ سعيد الشماخى وكيل دولة مراكش فى مصر والشيخ على نايل والشيخ احمد كيوه من العلماء ..

واجتمع الوفد بالخديوى والنظـــار وأخبروهم بمهمتهم .. وصار حجز على باشا مبارك وأحمد بك السيوفى بالاسكندرية ورجع الباقون ليخبروا المجلس بأن الخديوى اسير عند الانجليز ولا يمكن رجوعه الى مصر(٦٧) ..

وعلى اثر اطلاع الخديوى على قرار الجمعية العمومية أصدر امرا مؤرخا فى ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٢ بعزل عرابى باشا من وزارة الحربية وتعيين عمر باشا لطفى محافظ الاسكندرية بدلا عنه(٦٨) .

---

(٦٦) محمود الخفيف ص ١٠٨ .
(٦٧) مذكرات عرابى ص ١٩٤ و ١٩٥ .
(٦٨) عبد الرحمن الرافعى ص ١٦٢ .

وقد أعلن قرار عزل عرابى باشا من نظارة الجهادية والبحرية يوم ٢٢ يوليو ، ذلك القرار الذى صـــدر منذ ١٦ يوليو . وكان الخديوى فى هذه الأيام الستة ـ بين اصدار القرار واعلانه ـ يحاول اســتدراج عرابى باشـــا الى الاســكندرية للقبض عليه غدرا وعدوانا(٦٩) ..

لم يعبأ عرابى باشا بقرار عزله ، وقد وطد نفسه على الدفاع عن مصر ووقف فى خطوط دفاع كفر الدوار معتمدا على تأييد الأمة وعلى عدالة قضيته وشرف جهاده فى سبيل الحق والحرية(٧٠) .

كان عرابى باشا مرابطا فى معسكره بكفر الدوار حين اصدر الخديوى أمره بعزله من منصبه ، فلم يكترث له واستمر يعد عدة الدفاع ليصد تقدم الانجليز . وأرسل الى يعقوب باشا سامى يدعوه الى عقد الجمعية العمومية ثانية للنظر فى أمر العزل .. فاجتمع المجلس العــرفى وقرر دعوة الجمعية العمومية الى الانعقــاد .. واجتمعت بوزارة الداخلية يوم السبت ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٢ . وكان الحاضرون فى المرة الثانية أكثر عددا من المرة الأولى اذ حضرها نحو خمسمائة من الأعضاء(٧١) ..

وكان اجتماعا قوميا خطيرا شهده وجهاء الأمة المصرية وفى مقدمتهم ثلاثة من الأمراء هم الأمير ابراهيم باشا ابن الأمير أحمد باشا والأمير كامل باشا فاضل ابن الأمير مصطفى فاضل وهما أبناء عم الخديوى توفيق ، والأمير احمد باشا كمال ابن الأمير أحمد باشا .. وشهده كبار علماء الأزهر وفى مقدمتهم شيخ الاسلام الامبابى وقاضى قضاة مصر والمفتى ونقيب الأشــــراف . وكان من أبرز الحاضرين من العلماء الشيخ محمد عبده والشيخ حسن العدوى

(٦٩) محمود الخفيف ص ١١١ .
(٧٠) محمود الخفيف ص ١١٧ .
(٧١) عبد الرحمن الرافعى ص ١٦٣ .

والشيخ محمد عليش والشيخ محمد أبو العلا الخلفاوى .. وشهده كذلك بطريرك الاقباط الأرثوذكس ووكلاء البطريكخانات وحاخام اليهود . كما شهده وكلاء الوزارات والنواب وعدد كبير من الباشوات وكبار الضباط وكبار موظفى الدولة الاداريين والقضاة ومديرو الأقاليم . ومن الأهالى شهده كبار التجار والأعيان ورؤساء العشائر من الأقاليم ..

ومن أهم ما امتاز به هذا الاجتماع التاريخى العظيم هو تمثيل الأسر المصرية الكبرى فيه من معظم مديريات مصر صعيدها وريفها . فقد شهده من كل اقليم عدد من كبار العمد كانوا هم فى الوقت نفسه عمداء أسرهم وكبراء الجهات التى ينتمون اليها ، وبذلك كانت مصر كلها ممثلة فى هذا المؤتمر الوطنى العظيم ..

وفى ذلك أبلغ رد على الذين يزعمون أن الحركة القومية فى مصر تحت قيادة أحمد عرابى باشا كانت فتنة عسكرية لم تؤيدها الأمة المصرية(٧٢) ..

كان الاجتماع برئاسة حسين باشا الدرمللى وكيل الداخلية وتولى قراءة المكاتبات الشيخ محمد عبده . وقد تليت فى الاجتماع فتوى شرعية من المشايخ حسن العدوى ومحمد عليش ومحمد أبو العلا الخلفاوى مؤداها أن الخديوى بانحيازه الى العدو المحارب لبلاده يعد مارقا عن الدين ..

ثم تداول المجتمعون فى الموقف الحربى وانتهوا الى قرار خطير أجمعوا عليه وذلك هو عدم الاعتراف بقرار الخديوى الصادر بعزل أحمد عرابى باشا من نظارة الجهادية والبحرية .. وهكذا تأكدت لعرابى باشا زعامة الأمة(٧٣) ..

---

(٧٢) محمود الخفيف ص ١١٧ و ١١٨ .

(٧٣) محمود الخفيف ص ١١٩ .

وسأل يعقوب سامى باشا الجمعية رأيها فى أوامر الخديوى التى تصدر له منه ، وكذلك ما يصدر من نظاره المقيمين معه .. هل يلزمه قبولها وتنفيذها أم لا .. ؟

وتداولت الجمعية العامة فى هذا وأصدرت قرارها بأن وجوب العساكر الانجليزية فى الاسكندرية والسفن الانجليزية فى السواحل المصرية ووقوف عرابى باشا بمدافعة العدو يقتضى وجوب بقاء الباشا المشار اليه فى نظارة الجهادية والبحرية مداوما على قيادة العساكر ومتبعا فى أوامره المتعلقة بالعسكرية وعدم انفصاله عن تلك الوظيفة .. ووجوب توقيف أوامر الخديوى وما يصدر من نظاره الموجودين معه كائنة ما كانت لأى جهة من الجهات وعدم تنفيذها حيث ان الخديوى خرج عن قواعد الشـــرع الشـــريف والقانون المنيف(٧٤) .

ولم تحفل الأمة بامر الخديوى بل لقد زادها ذلك تمسكا بالزعيم أحمد عرابى والتفافا حوله .. وأضاف الناس الى ألقاب عرابى باشا رئيس الحزب الوطنى وقائد الجيش الوطنى لقبا جديدا هو « حامى حمى الديار المصرية » . وفى هذا الدليل على أن الثورة القومية قد تغلغلت الى أعماق الأمة المصرية(٧٥) ..

قامت الحرب وليس فى خزانة الحكومة درهم لأن المراقب المالى الانجليزى المســتر كلفن أخذ الأموال من خزينة المالية وأنزلها فى الدوننمة الانجليزية قبل اعلان الحرب بأيام وكذلك الأموال الموجودة فى صندوق الدين العمومى قد حملها أعضاء قومسيون الصندوق الى المراكب الحربية حيث آمنوا عليها(٧٦) ..

وقد طلب المجلس العام تحصيل الأموال من الآهالى بواقع عشرة قروش عن كل فدان ، ومن شاء أن يتبرع بشىء اعانة للجند

---

(٧٤) محمود الخفيف ص ١١٩ و ١٢٠ .
(٧٥) محمود الخفيف ص ١١٦ و ١١٧ .
(٧٦) مذكرات عرابى ص ٢٠١ ، عبد الرحمن الرافعى ص ١٧١ .

المجاهدين فى سبيل الدفاع عن الوطن وحفظ الكرامة والشرف يقبل منه مع اعلان الشكر ..

وقد جاءت الأمة على اختلاف طبقاتها ومذاهبها ونحلها بالمال والغـــلال والخيل والجمال والأبقار والجاموس والأغنام والفاكهة والخضراوات حتى حطب الحريق . ومنهم موسى بك مزار الذى تبرع بألف وثلاثمائة ثوب بفتة وثلاثين عجل بقر عن طيب خاطر . ومنهم والدة الخديوى اسماعيل التى تبرعت بجميع خيول عرباتها . وجاراها فى هذا المضمار باقى افراد العائلة الخديوية . وكذلك حرم خيرى باشا رئيس الديوان الخديوى وحرم رياض باشا وكثيرون غيرهم من الذوات رجالا ونساء ..

كل ذلك فضلا عما مدوا به الجيش من الأقمشة والأربطة اللازمة لتضميد جراح العساكر وغيرهم . ومن الأهالى من تبرع بنصف ما يمتلكه من الغلال والمواشى ومنهم من خرج عن جميع مقتنياته ومنهم من عرض أولاده للدفاع عن الوطن لعدم قدرته على الدفاع بنفسه .. وبالجملة فان الأمة المصرية عن بكرة ابيها قدمت من التبرعات واظهرت من النخوة والغيرة مالم يسبق له عهد فى القرون الماضية(٧٧) ..

ان جميع النفقات التى لزمت لمائة الف جندى مصرى اثناء الحرب كانت كلها تبرعات من الأمة المصرية بغير تمييز بين العقائد .. ولم ينفق على الجيش أثناء القتـــال درهم واحد من خزانة الحكومة(٧٨) ..

وقد قدمت ارملة سعيد باشا خيمته الفخمة الى الزعيم احمد عرابى حيث اقامها عند كنج عثمان هدية قومية مشفوعة بأصدق أمانيها أن يؤيده الله بنصره(٧٩) ..

---

(٧٧) مذكرات عرابى ص ٢٠٢ ومحمود الخفيف ص ١٣٣ .
(٧٨) محمود الخفيف ص ١٣٣ و ١٣٤ .
(٧٩) محمود الخفيف ص ١٢٩ و ١٣٠ والمرجع المشار اليه بها .

وقد قال الامام الشيخ محمد عبده فى تقريره الذى كتبه وهو فى السجن ٠٠ « هل يقدر احد أن يشك فى كون جهادنا وطنيا محرفا بعد أن أزرد رجال من جميع الأجناس والأديان ؟ ٠٠ فكان يتآلب المسلمون والأقباط والاسرائيليون لنجدته بحماس غريب وبكل ما اوتوا من حول وقوة لاعتقادهم انها حرب بين المصريين والانجليز ٠ وقد تبرع الأفراد والأعيان والعلماء وسائر افراد الحاشية الخديوية حتى النساء بالخيل والحبوب والنقود والميرة اللازمة للجيش(٨٠) ٠

لقد استجابت الأمة لهذا الفلاح من ابنائها الذى يقف موقف الشرف والكرامة وأمدته بسخاء بما طلب من مال وعتاد ورجال ٠ وقل ان نجد فى تاريخ الحروب حربا كهذه الحرب التى لم ينفق فيها قرش واحد من خزانة الدولة والتى قامت على ما بذله الشعب المصرى من اقواته وامواله ودمه ، لتقدم دليلا جديدا على قوة روح هذه الأمة وكرم عنصرها وعلى ان ثورتها القومية كانت منبعثة من أعماق القرى ٠٠

كانت مصر كلها فى قبضة عرابى باشا تدين له طوعا لا كرها ، شعارها « الله ينصرك يا عرابى » لأن انتصاره كان فى نظر الأمة خلاصها من جشع الاجانب ومن استبداد الترك والشراكسة(٨١) ٠٠

لقد كان هتاف الشعب المصرى للزعيم احمد عرابى « الله ينصرك ياعرابى » ٠٠ وقد اثبت مستر برودلى – محامى الزعيم – هذه الكلمة بالعربية مذهبة على غلاف كتابه بالانجليزية « كيف دافعنا عن عرابى » واثبتها فى الصفحة الأولى منه بالعربية كذلك وكتب تحتها ٠٠ « هتاف الشعب فى القاهرة يوليو سنة ١٨٨٢ »(٨٢) ٠٠

---

(٨٠) محمود الخفيف ص ١٣١ ٠
(٨١) محمود الخفيف ص ١٣٠ ٠
(٨٢) محمود الخفيف ص ١٠٥ والهامش رقم ١ ٠

الفصـــل الســابع

الحـــرب

لعل الذين يكتبون حول قضية الانتماء يدركون أن الشعب المصـرى عندما يعطى لنفسه الحق أن يختار بين أن « يفعل » أو « لا يفعل » ·· ثم يختار أن لا يفعل ·· فهو لا يتخـذ موقفـا ســلبيا ، وانما يعبر عن ارادته باتخاذه ذلك الموقف ··

عقد الخديوى توفيق مجلسا من الوزراء وكبار رجال الدولة شهده درويش باشا - مندوب السلطان العثمانى - لينظروا ماذا يكون جواب الحكومة على انذار الأدميرال سيمور · وبعد أن تداول المجلس طويلا انتهت أغلبيته الى رفض ما طلب الأدميرال · وكانت المداولة فى أمرين : هل تقبل مطالب الانجليز تجنبا للعدوان أم هل ترفض ابقاء على الكرامة القومية وتفاديا للمذلة ؟ ·· ورجح الرأى الثانى تأسيسا على أن العدوان واقع لا محالة سواء قبلت مطالب الانجليز أم لم تقبل ، فلن يعجز الانجليز عن تحرش من نوع آخر(٨٣) ··

كان عرابى باشا غائبا عن ذلك المجلس الذى انعقد فى اليوم العاشر من يوليو سنة ١٨٨٢ بقصر رأس التين برئاسة الخديوى توفيق وتقرر فيه أن الحصون سترد على الأسطول الانجليزى بعد القذيفة الخامسة(٨٤) ··

وفى يوم ١١ يوليو أعلنت الأحكام العرفية فى مصر بأن أرسل راغب باشا - رئيس النظار - الى جميع المديرين برقية هذا نصها :

---

(٨٣) محمود الخفيف ص ٥٢ و ٥٣ ·

(٨٤) محمود الخفيف ص ١١٥ ·

« حيث ابتدات الحرب بيننا وبين الانجليز فبمقتضى القانون تكون الادارة تحت أحكام العسكرية(٨٥) ..

وهذه البرقية واضحة وصريحة فى أن الحرب ابتدأت بين مصر وبين الانجليز . وصدورها من رئيس مجلس الوزراء لن يكون الا باذن من الخديوى .. بل انه منذ قرر الخديوى ومجلس وزرائه رفض الانذار النهائى للأدميرال سيمور تعتبر البلاد فى حالة حرب مع انجلترا ، خاصة وقد أصدر الخديوى أمره الى عرابى باشا بدعوة ٢٥ الفا من الاحتياطى بالأقاليم(٨٦) ..

ولكن حدث فى ١٥ يوليو أن أرسل راغب باشا الى وكيل وزارة الجهادية بالقاهرة يطلب اليه اعادة المهاجرين الى مدينة الاسكندرية لأن الحالة قد تحسنت .. وكان راغب باشا يريد أن يقول أن البلاد ليست فى حالة حرب مع الانجليز .. مع أنهم كانوا قد احتلوا الاسكندرية فعلا .. واتخذوها قاعدة يزحفون منها الى داخل البلاد ..

وفى ١٧ يوليو كتب راغب باشا الى الأدميرال سيمور يقول .. ان له حظ الشرف ــ هكذا .. ! ــ ان يعلن لحضرته ان عرابى باشا يشتغل باعداد وسائل للدفاع وذلك مخالفة لأوامر الجناب الخديوى .. وقد صدر له الأمر بالكف عن هذه التجهيزات . وأن الجناب الخديوى عزم على عزله من وظيفته فهو لذلك وحده المسئول عما يحدث(٨٧) ..

وقد أعطى هذا الكتاب للقائد الاستعمارى فرصة ذهبية .. أى انه ليس قائدا لغزاة اعداء بل ممثلا للسلطة الشرعية فى البلاد ومنفذا لأوامرها .. ولذلك فانه فى نفس اليوم ــ ١٧ يوليو ــ أصدر

---

(٨٥) الوقائع المصرية عدد ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ .
(٨٦) محمود الخفيف ص ٩٧ .
(٨٧) محمود الخفيف ص ٩٨ .

الادميرال سيمور منشورا باسم الخديوى يحث الناس على الهدوء والنظام ٠٠ ويعلن اليهم أنه مكلف بذلك من جانب الخديوى(٨٨) ٠٠

وفى نفس اليوم أيضا أبرق الخديوى لعرابى باشا فى كفر الدوار بانه يلزم ان يصرف النظر عن جمع العساكر وعن كافة التجهيزات الحربية التى يجريها وان يحضر حالا الى سراى راس التين لأجل اعطاء التنبيهات المقتضية الشفاهية على حسب امره هذا وما استقر عليه رأى مجلس النظار(٨٩) ٠٠

ولعل برقية عرابى باشا الى الخديوى توفيق ردا على برقيته السابقة تحدد حقيقة موقف أحمد عرابى باشا وما اذا كان له دور فى نشوب الحرب من عدمه ٠٠ كما يدعى خصومه ٠٠

« مولاى ٠٠ فى شريف علم مولاى المعظم ان الحرب التى وقعت بيننا وبين الانجليز وبلغت مسـامع عظمتكم وعرضت على مجلس نظاركم المنعقد تحت رئاسة سموكم بحضور كثير من اعيان البلاد المنتخبين ودولتلو درويش باشا نائب الحضرة السلطانية ولما تحقق عند جميعهم أن هذه الطلبات مضرة بالحكومة الخديوية ومخلة بشأن البلاد استقر رايهم على معارضة طلب الأميرال ولو ادى ذلك الى الحـرب ٠ وبناء على ذلك قرر المجلس لزوم زيادة ٢٥٠٠٠ عسكرى وصدرت الأوامر الى المديريات بطلبهم ٠ وقرر المجلس ايضا انه لا تطلق المدافع من جهتنا الا بعد اطلاق خمسة مدافع من السفن الانجليزية ٠ ولما ابتدأت السفن بضرب النيران على مدينة الاسكندرية لم نقابلها الا بعد عشرين طلقة ٠ ولم يكن عندنا قبل وقت الضرب

---

(٨٨) محمود الخفيف ص ٦٩ ٠

(٨٩) الوقائع المصرية ١٨ يوليو سنة ١٨٨٢ ٠

ادنى استعداد لاستمرار الأوامر بعدم الاستعداد · ثم بعد ذلك اعلن حضرة رئيس مجلس النظار وناظر خارجية حكومتكم الى جميع جهات الادارة بصيرورة البلاد حربا مع الانجليز وانها صارت تحت الأحكام العسكرية كما هو حكم القانون زمن الحــرب · فلهذه الأسباب يامولاى تكون حكومتكم الخديوية المصرية محاربة لدولة الانجليز بوجه الحق والشرع ، ولم يحصل من الحكومة ولا من عساكرها ادنى تحقير ولا ازدراء بالدوننمة (الأسطول الانجليزى) كما هو معلوم لدى عظمتكم · وانما كانت الحرب عدوانا من الانجليز على الحكومة التى لم يبد منها اى شيء يستوجب الحرب ، فان كان الاميرال فى مخابرته مع ســموكم اظهر أنه عدل عن الحرب الى السلام فذلك بعد وقوع الحرب يعد طلبا للصلح وسعيا فى تجديد العلاقات ، ولا يجوز ان يكون انكارا للحرب بالمرة وتبرا من العدوان بعد وقوعهما · ولا شك فى اننى أطابق افكار سموكم فى الميل الى الصــلح مع حفظ شــرف البلاد والحكومة ، وان كان الأميرال يريد تسليم المدينة لجيش حكومتكم المنظم بعد أن تخربت بمدافع السفن الانجليزية هدما وحرقا فها هو جيشها المنظم ، الذى لم يقع منه أدنى امر يخل بنظامه ، مستعد لان يتسلمها بعد سحب السفن من مياه الاسكندرية · وللمحافظة على شرف حكومتكم الوطنية ينبغى الاستمرار على الاستعداد العسكرى كما وافق راى سموكم اولا حتى تنسحب السفن من السواحل المصرية خوفا مما عسى ان يحدث من قبيل ما سبق · فقد صارت الحادثة الماضية برهانا جليا على ان الوعد بالسلام من الانجليز لا يمكن الثقة به ، وانما هو لأجل شغلنا عن الاستعداد واقتراح مطالب مضرة بمصالح البلاد · واننى كنت اتمنى ان اتمثل بين يدى عظمتكم لابداء هذه الملاحظات ، لكن من الأسف انه تحقق عندى من الاكتشافات الحقيقية ان مدينة الاسكندرية مشغولة الآن بعساكر الانجليز · فمن المعلوم عند مولاى

انه لا يمكننى الحضور بتلك المدينة لهذا السبب فاذا حسن لدى مولاى ، فليصدر أمره السامى بحضور حضرات النظار او سعادة رئيس مجلس النظار الى مركز الجيش للمداولة فى هذا الأمر لنكون على بينة من الحقيقة حتى يمكننا بعد ذلك صرف العساكر وترك التجهيزات الحربية والحضور الى المدينة والأمر لمن له الأمر(٩٠) ٠

وعندما ايقن عرابى باشا واصحابه ان الحرب غدت أمرا محتما بين الأمة المصرية وبين الانجليز وراوا ان الاسكندرية لا تصلح ميدانا للقتال وان الدفاع عنها بعد تحطيم حصون الشواطىء مستحيل ، وهو أكثر استحالة بعد انضمام الخديوى توفيق الى الانجليز ٠٠

كان لابد وأن تنسحب الحامية لتتخذ لها مكانا حصينا يصلح لاقامة خطوط الدفاع عن داخل البلاد ، وقد اتخذت كفر الدوار موقعا لهذا الدفاع(٩١) ٠٠

ولم تقف الأمة المصرية عند حد الهتاف لأحمد عرابى والدعاء له ٠٠ بل بذلت من أبنائها ومن اقواتها وأموالها ما هو خليق ان يسجل لها فى تاريخ الحركات القومية(٩٢) ٠

ولعل الذين يكتبون حول قضية الانتماء يدركون ان الشعب المصرى عندما يعطى لنفسه الحق أن يختار بين أن يفعل أو لا يفعل ٠٠ ثم يختار ان لا يفعل ٠٠ فهو لا يتخذ موقفا سلبيا ، وانما يعبر عن ارادته باتخاذه ذلك الموقف ٠٠

---

(٩٠) الوقائع المصرية ١٨ يوليو سنة ١٨٨٢ ؛ مذكرات عرابى ص ١٨٦ — ١٨٨ ، محمود الخفيف ص ١٠٢ — ١٠٤ ٠

(٩١) محمود الخفيف ص ٩٣ و ٩٤ ٠

(٩٢) محمود الخفيف ص ١٠٥ ٠

الفصــل الثـامن

النصــــر
فى الميدان الغربى

استطاع الجيش المصرى أن يثبت
أما م الانجليز بنجاح نحو خمســـة
أسابيع يصـد كل الهجمات ، ويدفع
العدو بهجمات مضـــادة الى أبواب
الاسكندرية . ولو لم يكن هناك باب
آخر لدخول مصر غير كفر الدوار .
لانتصرت الحركة القومية ..

رابط عرابى باشا عند كفر الدوار وهو المكان الذى عرف فى الثورة باسم الميدان الغربى ·· وكان المكان منيعا يقع على الخط الحديدى الى القاهرة ، وتكتنفه من الجهتين بحيرة مريوط الضحلة وبعض المناقع ·· ولم يكن يستطيع جيش مهاجم أن يبلغه الا عن الطريق الضيق الذى مهده خط السكة الحديد · وبهذا لم يكن من الممكن اقتحامه من جهة الاسكندرية فى حين أنه من جهة الأرض كانت الدلتا مفتوحة للجيش بامداداتها التى لا تكل · وكان الجيش حر الاتصال بالقاهرة · وفى هذا المكان استطاع الجيش المصرى أن يثبت امام الانجليز بنجاح نحو خمسة أسابيع يصد كل الهجمات ، بل ويدفع العدو بهجمات مضادة الى ما يقرب من أبواب الاسكندرية ولو لم يكن هناك باب آخر لدخول مصر غير كفر الدوار لظفرت الحركة القومية بالنجاح(٩٣) ··

موقعة أبى قير :

فى يوم السبت الخامس من أغسطس سنة ١٨٨٢ بدأ الانجليز هجومهم ·· فزحفوا من الرمل بأورطتين من المشاة وأورطتين من

---

(٩٣) محمود الخفيف ص ١٢٧ – ١٢٩ والمراجع المشار اليها بالهامش ·

الفرسان ـ نحو ألفى مقاتل ـ يقودهم الجنرال أليسون ٠٠ فلما صاروا على بعد ١٥٠٠ مترا من الخطوط المصرية ، تصدى لهم المصـــريون تحت قيادة البكباشى أحمد البيار والبكباشى مصطفى حسان . وأوقفوا زحفهم ٠٠ ثم جاء خورشيد باشا طاهر قومندان خط دفاع أبى قير ومعه ثلاثة بلوكات من الفرسان ، فهجم المصريون على الانجليز هجوما شديدا واضطروهم الى التقهقر ٠٠ اذ ولوا الأدبار منهزمين بعد أن دام القتال ثلاث ساعاتونصف الساعة(٩٤) ٠

موقعة عزبة خورشيد :

عاد الانجليز الى الهجوم يوم ٧ أغسطس بعد أن أعدوا له عدة قوية هذه المرة ٠٠ فتقدم جناحهم الأيمن بطريق السكة الحديد من القبارى . وتقدم جناحهم الأيسر على جســـر ترعة المحمودية من الرمل ٠٠ وجاء القلب عن طريق كوبرى المحمودية ، وكانوا بقيادة الجنرال أليسون ٠٠ وقد ثبت لهم المصريون ثباتا خليقا بالاعجاب حقا ودافعوا فى هذه المعركة دفاعا مجيدا ٠٠ وأستمرت المعركة نحو ست ساعات انتهت بتقهقر الانجليز منهزمين ، ولحق بهم المصريون حتى حجبهم الظلام عنهم(٩٥) ٠٠

موقعة ١٩ أغسطس :

فى يوم السبت ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٢ تحركت قوة كبيرة من الانجليز ـ بعد أن جاءهم المدد ـ للهجوم على خطوط كفر الدوار ٠ وقد زحفوا بقوات كبيرة نقلتها القطارات المسلحة من جهة القبارى ،

---

(٩٤) الوقائع المصرية ٨ و ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ ، محمود الخفيف ص ١٥٠ ، عبد الرحمن الرافعى ص ١٦٧ ــ ١٦٨ ٠

(٩٥) محمود الخفيف ص ١٥١ ، عبد الرحمن الرافعى ص ١٦٨ ٠

وقوات أخرى من جهة الرمل ومحطة السيوف وحجر النواتية ٠٠ فلما وصلت القطارات الى مقدمة الجيش المصرى بدأ القتال والتحم الجيشان ٠٠ ودارت معركة شديدة استمرت ثلاث ساعات حتى غربت الشمس ٠ كان المصريون تحت قيادة طلبه باشا عصمت وقد كبدوا الانجليز خســـائر جسيمة ٠ وانتهت المعركة بارتداد الانجليز الى الاسكندرية ٠

واعاد الانجليز الهجوم فى أيام ٢٠ و ٢١ و ٢٢ أغسطس ٠ هاجم الانجليز مواقع الجيش المصرى فى كفر الدوار فدافع عنها المصريون دفاعا مجيدا ٠٠ وكانت المعارك تستمر حتى الغروب ثم يردهم المصريون كل يوم الى الاسكندرية ٠

وتعتبر معـــارك الميدان الغربى فوزا للعرابيين لأن الانجليز ارتدوا عن خطوط الدفاع فى كفر الدوار كما كانت سجلا مجيدا لحرب الثورة(٩٦) ٠

(٩٦) محمود الخفيف ص ١٦٠ ـ ١٦١ ؛ عبد الرحمن الرافعى ص ١٧٤ ٠

الفصـــل التاســـع

الخيـــانة
فى الميدان الشرقى

لولا الخيانة لاحاط المصريون بجيش
ولسلى فهزموه فى صـــحرائهم وهم
القادرون على شـــمسها وحرها فى
شهر سبتمبر . ولولد فى صـــحراء
القصـاصين عصـــر جديد فى تاريخ
مصر ولازدانت ميادين عواصـــمنا
بتماثيل عرابى باشا منقذ مصر ..

محمود الخفيف

كانت التل الكبير مركز الميدان الشرقى ، كما كانت كفر الدوار مركز الميدان الغربى ٠ ولقد دارت فى هذا الميدان الشرقى معارك فى مجال أوسع وفى أعداد أكبر مما كان فى كفر الدوار ٠ وكانت فى هذه المعارك الشرقية صفحات مشرقة وصفحات سوداء مظلمة ٠٠ كانت فيها البطولة الباهرة الى جانب الخيانة السافرة الغادرة ٠٠ فقد نكبت مصر بفريق من الخائنين كانوا أشد عليها من اعدائها(٩٧) ٠

لقد كان هناك خطأ عدم الاهتمام بتحصـــين المدخل الشرقى لمصر مثلما تم فى كفر الدوار ٠٠ استنادا الى اطمئنان عرابى باشا الى حياد قناة السويس وحرصه على ارضاء الدول بالمحافظة عليها بعدم ردمها مما اتاح للانجليز اقتحامها والاستيلاء عليها ٠٠

ومع ذلك فان هذا الخطا المزدوج لم يكن سببا لهزيمة الثورة العرابية ، فقد كاد النصر ان يستقر فى قبضة الزعيم احمد عرابى لولا ٠٠ الخيانة ٠٠

لقد بدات الخيانة بالخديوى توفيق ، وتبعه فيها دعاة التردد والهزيمة الذين كانوا أشد خطرا على الزعيم احمد عرابى من اعدائه الانجليز ٠٠ وبلغت الخيانة أقصاها فى ميدان القتال الشرقى ٠٠

---

(٩٧) محمود الخفيف ص ١٦٣ ٠

أولا : الخديوى توفيق :

كان لتخاذل الخـــديوى توفيق أبعد الأثر فى بث روح التردد والانقسام حتى أفضى الأمر الى الهزيمة ·· أن وجود الخديوى توفيق على رأس حكومة مصر فى ذلك الوقت كان العامل الجوهرى فى نجاح مدبرى الاحتلال الانجليزى(٩٨) ··

كان الخديوى توفيق فى كنف الانجليز وحمايتهم منذ قبوله المذكرة المشتركة الثانية بتاريخ ١٥ مايو سنة ١٨٨٢ وذلك فى ظل السفن الانجليزية ، بل انه كان فى كنفهم منذ واقعة عابدين ، أو فى الواقع منذ عملوا على تعيينه بعد خلع أبيه الخديوى اسماعيل(٩٩) ·

وفى ٧ يوليو سنة ١٨٨٢ استدعى الخديوى توفيق الســـيد أوكلند كلفن ـ المراقب المالى الانجليزى ـ ليدلى اليه بالطريق الذى يقترح اتباعه فى مواقف معينة تتصل بحركاته الشخصية ·· وأنه كلما كان الفراغ من الأمر كله أسرع قل الخطر الذى يتعرض له شخصيا(١٠٠) ·

وقد أشار الخديوى توفيق فى حديثه الى وجوب نزول الجنود الانجليز فورا الى البر عقب ضرب الاسكندرية بالمدافع ·· وكان ذلك قبل القتال بأربعة أيام(١٠١) ··

وفى عصر اليوم العاشر من يوليو ـ اليوم السابق مباشرة لضرب الاسكندرية ـ انتقل الخديوى توفيق الى سراى الرمل الذى يبعد عن الاســـكندرية بثمانية أميال وهو مكان أكثر أمنا فى حالة اطلاق النار من مدافع الأسطول الانجليزى(١٠٢) ·

---

(٩٨) محمود الخفيف ص ٦٢ ·

(٩٩) محمود الخفيف ص ٤٩ و ٥٠ ·

(١٠٠) محمود الخفيف ص ٥١ ·

(١٠١) لورد كرومر ص ١٩٥ ·

(١٠٢) محمود الخفيف ص ٦٣ ·

وفى يوم ١٢ يوليو ، عندما أشار بعض الامراء والكبراء على الخديوى توفيق بالسفر الى بنها ثم الى السويس او الذهاب الى العاصمة ، فما يليق بحاكم البلاد ان يظل مقيما فى بلد وقعت فى يد اعدائه فاجابهم بقوله : « ان أهم الأمور ان نجعل الأميرال سيمور على علم بامرنا اذا امكن ذلك »(١٠٣) ..

وفى صباح يوم ١٩ يوليو سنة ١٨٨٢ أرسل الخديوى توفيق فى طلب السير أوكلند كالفن .. وطلب اليه أن يستحث حكومة جلالة الملكة لتخطو خطوة جديدة بلا ابطاء .. وان هناك اشاعة مستفيضة بان انجلترا سوف يحال بينها وبين خططها بسبب الخلاف بينها وبين الدول وستكون عاقبة ذلك ، مع قوة عرابى باشا التى بلغت من العظمة حدا ينشر الرعب ويجعل عائلات الموالين له ـ للخديوى ـ واملاكهم تحت رحمته ، بان يصبح من الصعب عليه ـ الخديوى ـ ان يحتفظ بمن يشايعونه متحدين ..

وفى هذا الدليل على ان الخديوى توفيق لم ينضم الى الانجليز فحسب ، بل انه يستعديهم على مصر ويستحثهم فى صورة من القول لا تحتاج الى تعقيب(١٠٤) ..

ولعل هذا يوضـــح حقيقة وطبيعة دور الخديوى توفيق فى الأحداث التى تعرضت لها مصر منذ المذكرة المشتركة الأولى ـ بل ولعله قبلها ـ حتى الاحتلال الانجليزى لمصر ..

ان درويش باشا الذى غادر مصر خفية فى اليوم التاسع عشر من يوليو قد اعرب عن استيائه من موقف الخديوى توفيق حتى من قبل ان ينضم صراحة الى الانجليز(١٠٥) .

---

(١٠٣) محمود الخفيف ص ٨٧ والمرجع المشار اليه بالهامش رقم ١ .

(١٠٤) محمود الخفيف ص ١٠٨ و ١٠٩ .

(١٠٥) محمود الخفيف ص ١٢٢ .

وعندما ادرك احمد عرابى باشـــا أن الانجليز يتخذون من الخديوى توفيق اداة لتحقيق اغراضهم باصدار قرارات ضده تثير الانقسام فى مصر ، رأى أن يقضى على هذا الســـلاح بأن أعلن للمصريين انضمام الخديوى توفيق الى الانجليز ودعاهم الى عدم اتباع أوامره مع الاستعداد وجمع ما يلزم للقتال ٠

كما أعلن أن الوزراء اسرى عند الخديوى وانه يريد أن يتخذ منهم أداة لتنفيذ أغراضه فى شل حركة الدفاع عن الوطن ، وعلى ذلك فان ما يأتى من رئيس الوزراء بطلب الكف عن الاستعداد للحرب انما هو مجبر عليه فلا طاعة له(١٠٦) ٠

ثانيا : سعود الطحاوى ومحمد البقلى :

لجأ الانجليز الى اسلوب يقدم اقوى الادلة على مبلغ ما للشرف البريطانى عندهم من رعاية واحترام ويتضح ذلك مما فعله الأستاذ بالمر وشريكه الكابتن جل ٠

فقد استدعت ادارة الأدميرالية البريطانية ادوارد بالمر استاذ اللغات الشرقية بجامعة كمبردج ٠٠ لمعرفته اللغة العربية ولخبرته بمنطقة الصحراء الشرقية ليؤدى مهمة ٠٠ ضمان انضمام البدو شـــرقى القناة الى الجيش الانجليزى وذلك بالافادة من قابليتهم للرشـــوة ٠٠

وقد ذهب الى الاسكندرية حيث تشاور فى خطته مع الأميرال سيمور ثم الى يافا حيث اشـــترى الملابس العربية ليبدأ رحـــلته الصحراوية متظاهرا بأنه من تجار الابل ٠ واتصل ببعض مشايخ قبيلة الطرابين وتعاقد مع قبيلة الطياخة ٠

وفى اول أغسطس بلغ بالمر السويس واشترك مع الجند الذين احتلوها ثم خرج الى الصـحراء ثانية ليعمل على قطع اســـلاك

---

(١٠٦) محمود الخفيف ص ١٠٥ و ١٠٦ ٠

التلغراف واحراق الأعمدة لتنقطع المواصلات بين عرابى باشا وتركيا ..

ولم يقل نشاط كابتن جل غربى القناة عن نشاط بالمر شرقها فقد اتصل باثنين من اكبر مشايخ البدو هما سعود الطحاوى ق جبهة الصالحية ومحمد البقلى ق وادى الطميلات .. وقد تلقى هذين الاسمين من الخديوى نفسه(١٠٧) ..

ثالثا : محمد سلطان باشا :

كان رئيسا للحزب الوطنى قبل رئاسة عرابى باشا اياد .. وقدلقب يوما ما أبا المصريين .. ثم انضم الى الخديوى توفيق والانجليز .. وكان روح قسم المخابرات العسكرية بالاسكندرية الذى كان مركز الدسائس والمخابرات .. وقد عرف سلطان باشا ان توزيع النقود باسم الانجليز لا يفيد وعرف مقدار سلطة النقود على الأرواح .. فأخذ ق التوزيع باسم الخديوى والسلطان .. واختار لبث الأفكار الحاوى الطحاوى أحد ثقاة عرابى باشا ..

وق٢٧ أغسطس قبض على بدويين من قبيلة أولاد على ووجد معهما منشورات من سلطان باشا ورسائل منه الى رؤساء القبائل وبعض الضباط يدعوهم الى ترك عرابى باشا والالتحاق بالجيش العثمانى الذى جاء لاخضاع العصاة .. كما بعث برسائل الى رؤساء العرب ق الشرقية(١٠٨) .

وقال بلنت ان زعيم حركة الفلاحين القديم ـ محمد سلطان باشا ـ لم يساوره الخجل وقد ألقى بنفسه ق أحضان الانجليز كلية، وأن يبذر بذور الشقاق بين أولئك الذين لا يزالون يتمسكون بوطنيتهم وأنه أرسل كتبا الى عدد من أصدقائه السابقين ق القاهرة يشرح

---

(١٠٧) محمود الخفيف ص ١٧٨ ـ ١٨١ .

(١٠٨) من مذكرات الامام الشيخ محمد عبده محمود الخفيف ص ١٨١ و ١٨٢ .

لهم فيها ان التحالف بين الخديوى توفيق والانجليز انما هو ضرورة مؤقتة ‥ وان عرابى باشا فقد ثقة السلطان وان المقاومة المستمرة فى القاهرة امر ينقم عليه المسلمون ‥ وقد احدثت هذه الكتب التى احكم توزيعها اثرها ، كما لعب المال مرة ثانية دوره القوى[١٠٩] ٠

وكان سلطان باشا اثناء القتال يرافق الجيش الانجليزى نائبا عن الخديوى ، فقد اصدر الخديوى توفيق امرا بتعيينه نائبا عنه لمرافقة الجنرال ولسلى فى زحفه على العاصمة ‥

وقد كوفىء سلطان باشا بعد الحرب بلقب « ســــير » من الانجليز وبعشرة آلاف جنيه قبضها من الخديوى[١١٠] ‥

رابعا : عثمان بك رفعت :

كان احد الذين عملوا مثلما فعل محمد سلطان باشا ‥ وكان ياور الخديوى توفيق ، وقد وصفه بلنت بالمهارة والذكاء ، وقال انه احدث تاثيرا كبيرا فى نفوس عدد كبير من الضباط وخاصة من كانوا من اصل شركسى ، اذ راح يريهم الا فائدة من المقاومة وان الخير للشخص منهم ان يتجنب سوء العاقبة قبل فوات الوقت ‥ وسبيل ذلك هو الولاء للخديوى وكان عثمان بك يعرف فريقا من الضباط فاستطاع ان يتصل بهم ويغريهم[١١١] ‥

خامسا : الضباط الخونة :

كان فى الجيش المصرى بالشرقية ــ الميدان الشرقى ــ فريق من الخونة يسوقهم الانجليز ويمدونهم بالمال ويحرضهم الخديوى توفيق ويعدهم ‥ وفريق من الشراكسة الباشوات الذين يحقدون على الفلاحين المصريين ‥ ومن هؤلاء على يوسف الشهير بخنفس

---

(١٠٩) محمود الخفيف ص ١٨٢ و ١٨٣ ٠

(١١٠) محمود الخفيف ص ١٨٤ والمرجع المشار اليه ص ١٨٣ ٠

(١١١) محمود الخفيف ص ١٨٤ ٠

.. وقد زعم البعض انه من صميم المصريين . والحق انه من حثالة الاتراك وكان مع الأسف الشديد قائد قلب الجيش المصرى وهو الذى اشترى سلطان باشا ذمته للانجليز فانسحب بفرقته وافسح الطريق لجيش ولسلى(١١٢) ..

وممن اشتراهم سلطان باشا بالمال خلاف سعود الطحاوى وعلى يوسف خنفس عبد الرحمن حسن قائد فرقة الاستطلاع السوارى وراغب ناشد قائمقام فى المقدمة ..

ومن الضباط الذين اخفوا خيانتهم فى انفسهم حتى يحين الوقت الاميرالاى زهراب بك والقائمقام يوسف ضيا بك واليوزباشى توفيق افندى .. وقد رافقوا الجيش الانجليزى وارشدوه واعانوه بالاستطلاع والتجسس بأمر الخديوى(١١٣) ..

وسنرى – عند استعراض معركة القصاصين الثانية ومعركة التل الكبير – ان الخيانة كانت السبب الرئيسى والأساسى للهزيمة فى الميدان الشرقى وأنه لولاها لانتصر الجيش المصرى مثلما انتصر فى الميدان الغربى وانتصرت معه الثورة العرابية القومية الديمقراطية

سادسا : دى لسبس وقناة السويس :

كانت الخطة الأساسية للحملة الانجليزية غزو مصر من الشرق . وكان ذلك يقتضى اقتحام قناة السويس واتخاذ الاسماعيلية قاعدة للزحف على القاهرة ..

وكان عرابى باشا قد اطمأن الى تأكيد دى لسبس بحياد قناة السويس واستحالة اقتحامها بسفن حربية ..

---

(١١٢) محمود الخفيف ص ١٨٣ والمرجع المشار اليه .

(١١٣) محمود الخفيف ص ١٨٤ و ١٨٥ .

وفي العشرين من أغسطس احتل الانجليز بورسعيد واقتحمت السفن الحربية قناة السويس . واحتلوا الاسماعيلية ومنعت السفن التجارية من دخول القناة من الشمال ومن الجنوب ..

وأرسل عرابى باشا الى دلسبس فى ذلك التاريخ يقول : « حيث ان الانجليز اعتدوا على حياد القناة فقد صارت مصر مضطرة الى سدها وتعطيلها لمنع عدوانهم عليها .. » وحاول الجيش تنفيذ هذا العمل فلم يستطع اذ حرس الانجليز بسفنهم ومدفعيتهم شواطىء القناة ، ولم يتسن للمصريين الا سد الترعة العذبة(١١٤) .

وفى ٢١ أغسطس وصلت القوات الهندية الى السويس . وفى ٢٣ اغسطس التحم الانجليز والمصــــريين اول التحام فى الميدان الشرقى . وبعد قتال شديد ارتد المصـــــــريون عن نفيشه فاحتلها الانجليز ..

وفى ٢٥ أغسطس دارت معركة عنيفة بين الجيشين فى المسخوطة وقدابلى راشد باشا حسنى بلاء حسنا فى هذه المعركة ، ولكن تكاثر العدد عليه اضطره الى الانسحاب فسقطت المسخوطة .. ومساء ذلك اليوم اسر محمود باشا فهمى رئيس اركان حرب الجيش وكبير مهندسيه ..

ودخل الانجليز القصاصين بعد مقاومة صغيرة ، فأصبحوا على بعد ١٥ كيلومترا من التل الكبير .. وعند ذلك رأى عرابى باشا ان ينتقل بنفسه الى الميدان الشــرقى .. وتشــاور عرابى باشــا وكبار رجاله فى الموقف الحربى فتقرر اتخاذ خطة الهجوم فى الحال .

معركة القصاصين الأولى :

تم عقد مجلس حربى تحت رئاسة عرابى باشا تقرر فيه الهجوم على العدو . وعرف الرؤساء كيفية ترتيب الجيش وسيره ، واعطى

---

(١١٤) محمود الخفيف ص ١٨٦ .

لكل منهم رسم الشكل الحربى مبينا فيه الدقيقة التى يلزم أن توجد الفـــرق فيها على خط النار أمام العدو حيث كان معســـكرا في القصاصين ..

كان الترتيب على هيئة شكل مقعر يكتنف العدو من كل جهة ، فكانت أورطة محمد أفندى الرملاوى فى الجناح الأيمن للترعة الحلوة ومعه أورطة من السوارى ومدفعان وجانب من العربان . وفى هذا الجناح من يســـار الترعة ا جى الاى بيادة حكمدارية أحمد فرج بك وخلفه مدفعان .. وفى القلب ثلاث أورط يتقدمها ٨ مدافع من الـــكروب وخلفها أورطة من البيادة و ٦ مدافع . والجميع تحت حكمدارية على فهمى باشا .. والطوبجية تحت حكمدارية حسن رأفت بك . وفى الجناح الأيسر ٦ أورط من السوارى تحت حكمدارية أحمد بك عبد الغفار . وأورطتان من البيادة ومدفعان تحت حكمدارية عيد بك . وقومندان هذا الجيش هو راشد باشا حسنى . وكذلك محمود باشا سامى البارودى حكمدار الجيش المعسكر فى الصالحية وهو مكون من ١٢ ألف عسكرى يقوم بجيشه ليلا بحيث يصل الى يسار جيش رأس الوادى عند مطلع الفجر ويحيط بميمنة العدو ، والقوة التى على يمين الترعة تحيط بميسرته ، والعربان يقتحمون الترعة من خلفه وتقطع عليه خط الرجعة وبذلك لا يتمكن العدو من الفرار ..

وهى خطة محكمة ، وقد نفذت كذلك باحكام فهجم المصريون على مواقع الانجليز فى القصاصين فى ٢٨ اغسطس بقيادة راشد باشا حسنى الشهير بأبى شنب فضة .. ودار قتال شديد جدا . وتحمس المصريون وشدوا على الانجليز حتى أجلوهم عن مواقعهم الأمامية واستولوا عليها . ثم استعاد الانجليز قوتهم وهجم فرسانهم بقيادة الجنرال لو . وبعد تلاحم شديد استردوا مواقعهم .. وقد هبط الليل والحرب سجال بين الجانبين ...

وقد اسر المصريون ٧٠ انجليزيا . وترك الانجليز ٨٠٠ من قتلاهم فى أرض المعركة بخلاف من تم حملهم الى مراكزهم أو أحرقهم

من قتلى الجنود · واستشهد من المصريين ٦٠ شـــهيدا وجرح ١٥(١١٥) ··

وقد توقف الانجليز عن الزحف الى الأمام بعد هذه المعركة أياما · ولم يستأنف القتال الا بعد أن هجم المصريون عليهم مرة ثانية فى ٩ سبتمبر ، لأن دسائس محمد سلطان باشا وأعوانه لم تكن قد نجحت بعد . فخشى الانجليز التقدم دون أن يستعينوا بسلاح الرشـــوة والخيانة والغدر ، بعد أن عرفوا فى هذه المعركة ثبات المصريين واستبسالهم(١١٦) ·

معركة القصاصين الثانية :

فى ٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ تم الاتفاق بين الانجليز والسلطان العثمانى أعلن الأخير بموجبه قرار عصيان عرابى باشا فى منشور طويل نشرته صحف الاستانة يوم ٦ سبتمبر(١١٧) ·

وأرسل الخديو توفيق وفدا الى الاسماعيلية مؤلفا من محمد سلطان باشا وعمر لطفى باشـــا وفريد باشا وزكى بك ابن أخت يعقوب باشا سامى وعثمان بك رأفت ومعهم مقادير عظيمة من نسخ مجلة « الجوائب » التى نشرت منشور السلطان بعصيان عرابى باشا ، ومنشور الخديوى بمساعدة الانجليز وانه لا مطمع لهم فى بلادنا ·· وقد انضموا الى زهراب بك ــ المعين مع الجيش الانجليزى من قبل ــ ليبثوا العيون والجواسيس على الجيش المصرى ، وليتفقوا مع بعض الضباط الذين فسدت ضـــمائرهم وضـــعفت عزيمتهم ، وليوزعوا عليهم تلك المنشورات · كما قام بعض رجال الوفد المذكور بالتنقل فى البلاد الريفية لدعوة العمد والأعيان لطـــاعة الانجليز ومساعدتهم وفقا للمنشور الخديوى · وقد انخدع وانضم اليهم فى

---

(١١٥) محمود الخفيف ص ١٨٦ ــ ١٩١ ·

(١١٦) محمود الخفيف ص ١٩٢ ·

(١١٧) عبد الرحمن الرافعى ص ١٨٣ ·

هذه الخيانة السيد أفندى الفقى من مديرية المنوفية واحمد أفندى عبد الغفار عمدة تلا وغيرهم ممن انخلعت قلوبهم من منشـــور السلطان[118] .

فى صبيحة يوم السبت ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وقعت معركة كبيرة بين المصريين والانجليز . تعد أكبر وقائع الحرب العرابية .. هجم فيها المصريون بقيادة الفريق راشد باشا حسنى على مواقع الانجليز فى القصاصين يريدون استردادها للمرة الثانية . واحتدم القتال نحو ثلاث ساعات ولكن المعركة انتهت بتراجع المصريين بعد أن كادوا يوقعون بالجيش الانجليزى[119] ..

كانت معركة القصـــاصين الثانية آخر معـركة أثبت فيها المصريون شجاعتهم . وكاد جيش مصر رغم قلته يظفر بالجيش الانجليزى رغم كثرته . ولكن الدسائس كانت قد أفرخت . فحيل بين المصريين وبين الظفر وهم منه على خطوة .. ولذلك كانت هذه — فى الوقت نفسه — أول معركة سجل فيها نفر من الضباط على أنفسهم عار الخيانة فى أقبح صورها وأشنعها . وبسبب هذه الخيانة الغادرة حلت الهزيمة السوداء حين التمعت بوارق النصر[120] ..

ولم تخرج خطة هذه المعـــركة فى جوهرها عن خطة المعركة الأولى . وقد أحكم عرابى باشا ورجاله وضع خطتهم للهجوم على الانجليز الذين اعترفوا فيما بعد بأنها كانت خطة جيدة .. ولكن الخائن على يوسف خنفس سرق النسخة الأصلية للخطة الحربية التى رسمها عرابى باشا بيده وارسلها الى الجنرال ولسلى[121] .

كان على الجيش المصرى أن يبدأ زحفه على الجيش الانجليزى فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل . ولكن القواد المصريين فوجئوا

---

(١١٨) محمود الخفيف ص ١٦٧ .

(١١٩) عبد الرحمن الرافعى ص ١٨٤ .

(١٢٠) محمود الخفيف ص ١٦٦ .

(١٢١) محمود الخفيف ص ١٦٩ وعبد الرحمن الرافعى ص ١٨٥ .

بالفرق الانجليزية زاحفة وآخذة جميع الطرق فى الساعة الواحدة ..
والتحم الجيشان وأسفر الصبح والمعركة حامية بينهما والمدفعية من الجانبين ترسل قذائفها فى سرعة وقوة . وتكافأ الفريقان على الرغم من تفوق الانجليز فى العدد ومعرفتهم الكاملة بخطة الجيش المصرى .. وكان المفروض أن يدخل محمود باشا سامى البارودى الميدان قادما بجيشه من الصالحية ليكر (ليهجم) على ميمنة العدو فى غبش الفجر ـ كما كانت تقضى به الخطة .. ولكن رجال سعود الطحاوى أضلوه عن وجهته فى الصحراء فتأخر وصوله حيث كانت قوة من المدفعية الانجليزية قد رصدت له ، فحالت بينه وبين الوصول الى مكانه من المعركة . واستمرت المعركة طوال النهار حيث أثبت البطلان المصريان على فهمى باشا وراشد باشا حسنى بطولة فذة ومن حولهما الجيش المصرى لا يتزحزح ولا يهن .. ولكن المعركة كانت قد انقلبت من أولها ـ بسبب الخيانة ـ الى معركة دفاعية بعد أن كانت خطة هجومية .. وباصابة كل من بطلى المعركة على باشا فهمى وراشد باشا حسنى برصاصة أقعدته ، ضعف هجوم المصريين وانقضى اليوم ولم يظفر بالنصـــــر هؤلاء ولا هؤلاء .. وتراجع الجيشان بانتظام(١٢٢) ..

ان وقفة المصريين على هذه الصـــورة الرائعة فى معركة القصاصين الثانية على قلة عددهم بالنسبة لعدد الانجليز ، اذ كان هؤلاء يقربون فيها من ضعفهم ، ومع ذلك أوقعوا بصفوفهم خسائر جمة . وزحزحوهم عن مواقعهم وكادوا يظفرون بالنصر .. ليجعلنا نعتقد ـ بل نؤمن ـ فى غير تردد أنه لولا الخيانة لأحاط المصريون بجيش ولسلى فهزموه فى صحرائهم وهم القادرون على شـــمسها وحرها فى شهر سبتمبر وولد فى هذا المكان عصر جديد فى تاريخ مصر ، ولازدانت ميادين عواصمنا بتماثيل عرابى منقذ مصر(١٢٣)

---

(١٢٢) محمود الخفيف ص ١٩٩ و ٢٠٠ .

(١٢٣) محمود الخفيف ص ٢٠١ .

معـــركة التل الكبير :

كان منشور السلطان عبد الحميد بعصيان احمد عرابى باشا ضربة شديدة له ٠ وقد فعل وحده بجيش عرابى مالم تفعله الجنود الانجليزية مجتمعة ٠٠ فمن السهل أن ندرك مبلغ ما كان لهذا القرار من أثر فى نفوس الجند الذين كانوا يعتقدون أن جهادهم كان وطنيا دينيا فى وقت واحد ٠٠ فهم جند مصر وجند السلطان خليفة المسلمين الذى يعتدى الانجليز الكفرة على حقوقه ٠٠ وقد تذمر بعض أمراء العسكرية وقالوا : اننا اذن عصاة على السلطان مخالفين لكتاب الله وسنة رسوله ٠٠ ومن مات منامات عاصيا لا أجر له(١٢٤) ٠٠

واستدعى عرابى باشا على باشا الرومى من مريوط بعد أن خلا الميدان الشرقى من ثلاثة رجال(١٢٥) هم من أعظم قواد عرابى خبرة وبسالة ٠٠ فكان حضوره قبل معركة التل الكبير بيوم واحد ، ولذلك لم يستطع أن يدرك حقيقة الحال فى الميدان ادراكا تاما ٠٠ ولم تكن خطوط الدفاع فى التل الكبير متينة كخطـــوط كفر الدوار لأنها انشئت على عجل ٠٠ وكانت عبارة عن خنادق جافة تمتد نحو ستة كيلومترات من الجنوب الى الشمال وتتراوح أعماقها بين متر ومترين ، واتساعها بين مترين وثلاثة أمتار ٠ وكان مركز الجيش المصرى على هضبة وراء هذه الخطوط يبلغ ارتفاع قمتها نحو ٣٠ مترا وتنحدر انحدارا بطيئا نحو الشرق والشمال ، وعلى المنحدر الشرقى للهضبة وراء مركز الجيش أقيمت خيمة عرابى باشا على بعد أربعة آلاف متر من الخطوط الأمامية ٠٠

وكان سعيد الطحاوى لا يفتأ يلقى فى روع عرابى باشا ان

---

(١٢٤) محمود الخفيف ص ٢٠٢ ــ ٢٠٤ ٠

(١٢٥) هم محمود باشا فهمى ، راشد باشا حسنى ، على باشا فهمى ٠

الانجليز لم يعدوا العدة للزحف بعد وكان كلما سأله عرابى باشا عن حركات الجيش الانجليزى املت عليه خيانته أن يهون أمرها ويوحى الى عرابى باشا ان بين الانجليز وبين الزحف أيام ثم يذهب الى ولسلى ليطلعه على كل ما يهمه معرفته(١٢٦) ..

وفى اليوم الثانى عشر من سبتمبر ارسل على يوسف خنفس أميرالاى ٣ جى بيادة من المقدمة الى عرابى باشا يقول : ان الانجليز لن يتحركوا اليوم فركن الجيش المصرى الى الراحة بأمر قواده ..

وفى مساء ذلك اليوم نفسه ١٢ سبتمبر تاهب ولسلى للزحف واختار الليل كى يتقى حر النهار ، وكى يتخذ من الليل ستارا لخطته القائمة على المباغتة التى هيأ لنجاحها سعيد الطحاوى وعلى يوسف خنفس(١٢٧) .. واحمد عبد الغفار قومندان السوارى .. وعبد الرحمن بك حسن حكمدار الاى السوارى الثانى وحسن بك رافت قومندان الطوبجية(١٢٨) ..

زحف الجيش الانجليزى بعد منتصف الليل يرشده فى الصحراء بعض الضباط الموالين للخديوى وفريق من عرب الهنادى .. وتقدم مطمئنا لا يتهيب طلائع الجيش المصرى ، فقد كان عبد الرحمن بك حسن حكمدار ٢ جى الاى سوارى قائد فرقة الاستطلاع السوارى ثم يليه من ورائه على يوسف خنفس .. وكان عبد الرحمن حسن يحرس الطريق الآتى الى الصحراء من الشرق فاتجه بفرقته الى الشمال وترك الجيش الانجليزى يمر فى سلام وامن .. حتى كان على مقربة من موضع على يوسف خنفس ، الذى كان أعظم خيانة من سلفه .. اذ لم يكتف بترك الجيش الانجليزى يمر ، بل وضع له الفوانيس على المسالك التى يخترقها فى يسر .. ولم يخجل على

---

(١٢٦) محمود الخفيف ص ٢٠٥ و ٢٠٦ .

(١٢٧) محمود الخفيف ص ٢٠٦ .

(١٢٨) محمود الخفيف ص ٢١٣ .

يوسف خنفس من أن يشكو بعد انتهاء الحرب لانه لم يذل ثمنـــا لخيانته سوى ألف جنيه فقط وكان يريد عشـــرة آلاف مثل محمد سلطان باشا(١٢٩) ٠٠

كان المصريون نائمين فى خطوطهم فما راعهم الا اصـــوات البنادق والمدافع والرصاص يحصدهم فى صورة وحشية مروعة ، وكان ذلك فى الساعة الرابعة والدقيقة ٤٥ صباحا ٠٠

وكان هجوم الانجليز على نصـــف دائرة فاحاطوا بميمنة المصريين وميسرتهم ٠ وفتكت بنادق الانجليز ومدافعهم بالمصريين فتكا ذريعا ٠٠ ولم تكن هذه فى الواقع معركة ٠٠ ومع ذلك جعلها الانجليز من مفاخر ولسلى فانعموا عليه من اجلها بلقب لورد(١٣٠)

وفر اكثر الجيش المصرى مذعورين ، ولكن نفرا من المصريين حفظوا شرف امتهم من الانهيار فصـــمدوا للدفاع ٠٠ الايان من السودانيين بقيادة الأميرالاى محمد بك عبيد الذين ظلوا يدافعون حتى استشهد معظمهم كما استشهد البطل محمد عبيد واستبسل فى القتال ألاى من البيادة بقيادة أحمد بك فرج ، والاى عبد القادر بك عبد الصـــــمد ، واليوزباشى حسن أفندى رضـــــوان قومندان الطوبجية(١٣١) ٠٠ الذى أصلى الانجليز نارا حامية بمدافعه وأوقع بهم – رغم تفوقهم – خسائر جسيمة حتى سقط جريحا فى الميدان ٠٠ ولما حمل أسيرا الى ولسلى وأقبل يقدم له سيفه – رمزا للتسليم – لم يشأ أن يأخذه منه احتراما له وأثنى على بسالته ٠٠ وقد استمرت المعركة بين هؤلاء البواسل وبين الانجليز نحو ٤٠ دقيقة ٠ وكان القتلى من المصريين نحو الآلفين ، أما الجرحى فلم يحص عددهم لفرارهم(١٣٢) ٠٠

---

(١٢٩) محمود الخفيف ص ٢٠٧ .

(١٣٠) محمود الخفيف ص ٢٠٨ .

(١٣١) محمود الخفيف ص ٢٠٨ وعبد الرحمن الرافعى ص ١٨٩ .

(١٣٢)محمود الخفيف ص ٢٠٩ .

ونجا كل الخونة لانهم دبروا فرارهم قبل خوض غمار المعركة الصورية المزيفة ليعلنها الانجليز نصرا مؤزرا ٠٠ وهم يعلمون انها كانت تكون لهم هزيمة منكرة لو لم يلجأوا الى الخيانة والرشوة ٠٠ ولما أوشك الانجليز أن يطبقوا على عرابى باشا اســـعتد للموت والاستشهاد ، ولكن طبيبه الدكتور مصطفى بك نصح له بالفرار على صهوة جواده ٠٠ وقد عجل عرابى باشـــا بالذهاب الى القاهرة ليدافع عنها قبل فوات الوقت وقبل أن تؤثر فى نفوس أعضاء المجلس العرفى أنباء الهزيمة(١٣٣) ٠٠

وهكذا تم استيلاء الانجليز على مركز التل الكبير ومهماته وذخائره ٠٠ وبه كانت نهاية الحرب والخسارة عظيمة بفضل سعى الخديوى ومن انحازوا اليه ٠٠ الذين نشأوا تحت ضغط الاستبداد ، واستمرأوا عيش الاستعباد ٠٠ وبمساعدة المنافقين من عمد وأعيان المنوفية وعرب الهنادى بالشرقية الذين كافأهم الخديوى ، خاصة الشيخ أحمد أبو ســـلطان وأخوته من عربان الهنادى القاطنين بالشرقية ، فان الخديوى توفيق أقطعهم خمسة آلاف فدان فى رأس الوادى مكافأة لهم على خيانتهم للدين والوطن الذى نشأوا فيه(١٣٤) ٠

وانتشرت بين المصريين كلمات جديدة ٠٠ « الولس كســـر عرابى » أى أن الخيانة هزمت عرابى ٠٠ لتحـــل محل الكلمات السابقة « الله ينصرك ياعرابى » ٠٠

ولايزال الناس فى قرى مصر ، كلما استفظع أحدهم الغش والخيانة وأراد أن يعبر عن ســـوء عاقبتهما قال فى جد وألم ٠٠ « الولس كسر عرابى »(١٣٥) ٠٠

---

(١٣٣) محمود الخفيف ص ٢١٠ ٠
(١٣٤) محمود الخفيف ص ٢١٤ ٠
(١٣٥) محمود الخفيف ص ٢١٨ ٠

الفصــل العــاشر

شعب .. وزعيم

ان كتب التاريخ المدرسية التى تعتمد
على مراجـــع كتبت فى العهد الملكى
يجب أن تتغير ليعرف الجيل الجديد
حقيقة ثورتهم القومية الأولى بزعامة
احمد عرابى باشا ..

بالقضـــاء على الثورة الوطنية بقيادة أحمد عرابى وبدخول الخديوى توفيق العاصمة فى حماية جيش الاحتلال الانجليزى ·· بدأ فى تاريخ مصر عهد من اسوأ العهود التى يمنى بها تاريخ أمة من الأمم ··

عهد كان الثواب فيه لمن عدهم الخديوى من الموالين له ، وسماهم المصريون ·· بالخونة ··

وكان العقاب فيه لمن كانوا فى رأى الخديوى عصاة ثائرين ، وعرفهم المصريون ·· مجاهدين صادقين فى الله والوطن ··

فقد أنعم الخديوى توفيق على محمد سلطان باشا بالوسام المجيدى من الدرجة الأولى وعشرة آلاف من الجنيهات جزاء له على بث روح الخيانة فى الجيش المصرى ·· وأنعمت عليه ملكة انجلترا بوسام سان ميشيل وسان جورج مكافاة له على ما بذل فى سبيل نجاح معركة التل الكبير ··

واعيد ابراهيم ادهم باشا مديرا للغربية ـ الذى كان أحمد عرابى باشا قد عزله ـ وعين الشيخ محمد العباس المهدى شيخا للجامع الأزهر بعد اقالة الشيخ الامبابى(١٣٦) ··

---

(١٣٦) محمود الخفيف ص ٢٣٨ و ٢٣٩ ·

وتألفت وزارة شريف باشا الرابعة من عمر لطفى باشـــا ـ محافظ الاسكندرية السابق ـ ورياض باشا وعلى باشا مبارك وعلى حيدر باشا وأحمد خيرى باشا وحسين فخرى باشا ومحمد زكى باشـــــا ٠٠ وجميعهم من الموالين للخـــديوى والمعـــادين للعرابيين(١٣٧) ٠

ولم يقتصر الثواب على الخونة وأنصار الخديوى ، بل تعداهم الى الأعداء ٠٠ فقد وفد على نظارة الداخلية فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ محمد سلطان باشا وأحمد بك السـيوفى وغيرهما وأبلغوا رياض باشا برغبتهم فى تقديم هدايا ثمينة للقادة الانجليز ٠٠ وقدموا للأدميرال سيمور قائد الأسطول الانجليزى ـ الذى ضرب الاسكندرية وأحرقها ـ طبنجة مجوهرة بالماس ٠٠ وللجنرال ولسلى قائد الجيش الانجليزى سيفا مجوهرا ٠٠ وللجنرال لو أول قادم الى القاهرة بعد سقوط التل الكبير سيفا(١٣٨) ٠٠

واعتقل زعماء الثورة العرابية وكثيرون من الضباط والأعيان وألقوا فى السجن رهن التحقيق والمحاكمة ٠٠ وقد بلغ عدد المقبوض عليهم أكثر من ٢٩٠٠٠ نفس(١٣٩) ٠٠

لقد سلمت الحكومة البريطانية عرابى باشا وزملاءه المعتقلين الى الخديوى ٠٠ وقد أمعن الحزب التركى ـ تحت حماية الحراب البريطانية ـ فى الانتقام من العرابيين واشاعة الهلع فى قلوب من تحدثهم نفوسهم على الثورة مستقبلا(١٤٠) ٠٠

وكان محمد سلطان باشا قد أمر بسجن جميع الضباط وجميع رجال الملكية ـ الموظفين ـ والعلماء وخطباء المســـاجد والتجار والأعيان ـ الا من كان من الجواسيس والمنافقين حسب ما هو مندرج بسجلات الخديوى ـ فسجنوا جميعا الا على بك يوسف الشـــهير

---

(١٣٧) عبد الرحمن الرافعى ص ١٩٧ ٠
(١٣٨) محمود الخفيف ص ٢٣٥ و ٢٣٦ ٠
(١٣٩) عبد الرحمن الرافعى ص ٢٠٠ ٠
(١٤٠) اللورد كرومر ص ٢٤٣ ٠

بخنفس واحمدى بك عبد الغفار وعبد الرحمن بك حسن مكافأة لهم على خيانتهم وغدرهم فى معركة التل الكبير(١٤١) ..

ولعل الكثيرين يتساءلون عن حقيقة الدور الذى لعبه من كانوا مع عرابى باشا ظاهريا طوال المعركة حتى تكشفت علاقتهم بالخديوى توفيق فيما بعد مثلما حدث مع محمد رؤوف باشـــا ــ حكمدار السودان السابق ــ الذى كان ضمن الوفد الذى اختاره المجلس العرفى لمقابلة الخديوى توفيق بعد هزيمة التل الكبير .. ثم كان هو نفسه رئيس المحكمة العسكرية التى أصدرت حكمها على عرابى باشا وزملائه بالاعدام ..

ان دعاة التردد والهزيمة كانوا أشد خطرا على عرابى باشا من أعدائه الانجليز .. وكان على باشا مبارك ــ رغم أعماله الجليلة ومكانته فى نهضة مصر الحديثة ــ طليعة أولئك الدعاة ..

لقد قام على باشا مبارك عضو الجمعية العامة ورئيس وفدها الى الخديوى توفيق بالاسكندرية بزيارة سير أوكلند كلفن صباح يوم ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٢ وأفهمه أن عرابى باشا وطلبه باشا يترددان فى الواقع فى السير فى الطريق التى يسلكانها الآن .. كما قال له أن معظم الضباط وفيهم طلبه باشا يتلهفون الى ضمان سلامتهم وأنهم اذا نجحوا فى الحصول على شروط لأنفسهم بانسحابهم عن عرابى باشا ، فانه وأشياعه الأقربين مهما يبدو من اصرارهم ســــوف يضطرون فى عزلتهم الى طلب الصلح ، وانه يعتقد أنه بهذا يمكن بعثرة الجيش وبذلك تنتهى المقاومة(١٤٢) ..

وكان محمد بك نسيم أول من ترك الجيش وانضم الى جانب الخائنين لوطنهم .. واقتدى به القائمقام أركان حرب محمد بك لبيب والبكباشى عبد الرزاق نظمى(١٤٣) ..

---

(١٤١) محمود الخفيف ص ٢٤٠ .

(١٤٢) محمود الخفيف ص ١٢٤ ــ ١٢٦ والمرجع .

(١٤٣) مذكرات عرابى ص ٢٠١ و ٢٠٢ .

ونشر الشيخ حمزه فتح الله الادكاوى ـ نسبة الى ادكو ـ مقالا بجريدة الاعتدال التى أنشئت بالاسكندرية بعد تحيز الخديوى توفيق علنا الى الانجليز ، جاء فيها ٠٠ « فلو أننا فرضنا المستحيل عن كون هذه الحرب والحالة هذه وأنها بأمر الخليفة الأعظم أو نائبه الخديوى الأكرم لوجب شرعا مخالفة أمرهما بها لأنها حينئذ عبارة عن المخاطرة بالبلاد والعباد ٠٠ » أى أن الشيخ الادكاوى يريد تسليم البلاد للعدو بلا قتال(١٤٤) ٠٠

وقد حذا حذو الشيخ حمزه ، شاعر المتحيزين الى الأعداء وصنيعة المستبدين مصطفى باشا صبحى البوشناقى (من سلالة عائلة من أهل البوسنة بيوغسلافيا) قال فى مطلع قصيدته :

تبين عقبى غيـــه كل معتـــــدى

وأمسى العرابى وهو بالذل مرتدى

وهى ١٢٥ بيتا كلها سباب وشتائم ٠٠

وكذلك فعل اثنان من مرتزقة الأدباء أحدهما أديب اســـحق اللبنانى طمعا فى الاستجداء ٠٠ والثانى قدرى بك الشامى الذى كان مع درويش باشا حتى لا يرجع الى بلاده خاوى الوفاض(١٤٥) ٠٠

وأخرج عرابى باشـــا ليلا الى منفاه ٠٠ حيث لا يرجو له خصومه عودة ٠٠ لم يره من الشعب المصرى أحد ولا ودعه من محبيه أحد(١٤٦) ٠٠

ولقد بقى قلة قليلة من أصحاب عرابى باشا فى مصر على الوفاء له فكانوا يرسلون له الكتب ومن هؤلاء أحمد باشا المنشاوى ومحمد بك الزمر وخضر بك خضر والنجدى بك والشـــيخ أحمد

---

(١٤٤) مذكرات عرابى ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ٠

(١٤٥) مذكرات عرابى ص ٢٠٩ ٠

(١٤٦) محمود الخفيف ص ٣٢١ ٠

عبد الغنى والشيخ محمد خليل الهجرسى الذى كان منفيا بالحجاز لمدة خمس سنوات ·· ولما انتهت مدته رفض أن يعود لمصر قبل أن يعود عرابى باشا وحتى يموت الخديوى توفيق أو يتنحى عن عرشه(١٤٧) ··

وعاد الزعيم أحمد عرابى الى مصر فى ١٩٠١/٩/٣٠ بعد غياب عنها دام تسعة عشر عاما ·· وكان دعاة الاحتلال والسنته يلقون فى روع الناس ان حركة عرابى ام تكن الا عصيانا أهوج مبعثه الطمع الشخصى وانه لولا ان تداركت انجلترا البلاد من فوضى هذا العصيان الأحمق للحق بها الهلاك ·· وثبت فى اذهان ناشئة الجيل الذى أعقب الاحتلال ان عرابى هو سبب النكبة وأن « هوجة عرابى » هى التى جلبت الاحتلال · ومما يؤسف له حقا أشد الأسف ان بعض المصريين لايزالون حتى الآن يرددون هذا الكلام(١٤٨) ··

ولعل الأكثر ايلاما للنفس أن كتب التاريخ بالمراحل الدراسية المختلفة تذكر ستة أسباب لاخفاق الثورة العرابية ·· خمسة منها عارية عن الصحة والسبب السادس ·· الخيانة ·· ولا يشيرون الا الى خيانة على بك يوسف الشهير خنفس دون الكثيرين غيره ·· مع أن الخيانة هى السبب الوحيد لهزيمة الثورة العرابية ··

فالتصادم مع الخديوى توفيق ليس انقساما فى صفوف الثورة يعلل به اخفاقها لأن الخديوى كان مع أعداء البلاد منذ البداية وضد الثورة ·· وقد أصدر فى ١٤ اغسطس أمرا جاء فيه ·· !! ليكن معلوما عند السلطات المدنية والحربية فى منطقة قناة السويس أن اميرال الأسطول الانجليزى وقائد الجيوش البريطانية العام انما أتيا الى مصر لاعادة الأمن والنظام اليها ، ومن ثم سمحنا لهما باحتلال جميع الأمكنة التى يريان فى احتلالهاما يساعد على قمع العصيان ·· » ··

---

(١٤٧) محمود الخفيف ص ٣٤٠ ·

(١٤٨) محمود الخفيف ص ٣٤٦ ·

وزعماء الثورة لم تنقصهم الخبرة السـياسية أو الكفاءة الحربية ‥ ولم تخل المعارك من البطولة والتضحية حتى عندما كانت الخيانة على أشدها فى موقعة التل الكبير ‥ وعندما سلم عرابى باشا نفسه بعد ما تيقن من استحالة الدفاع عن القاهرة ، لم يكن تسليما وخضوعا ‥

ان كتب التاريخ المدرسية التى تعتمد على مراجع كتبت فى العهد الملكى يجب أن تتغير ليعرف الجيل الجـديد حقيقة ثورتهم القومية الأولى بزعامة احمد عرابى باشا ‥

لقد ردد بعض الجاهلين بحقيقة هذه الثورة القومية وبحقيقة أطماع الانجليز فى مصر انه لولا عرابى وثورته ما دخل الانجليز مصر(١٤٩) ‥

لقد واتت انجلترا الفرصة لتحقيق حلمها الذى ساورها منذ اخراج حملة نابليون من مصر والذى بدده محمد على باشا سنة ١٨٠٧ حين أجبر فريزر على الانسحاب بعد أن أحبط كيده وقد كان يمنى نفسه أن ينضم اليه بعض زعماء المماليك كما انضم الخديوى توفيق الى الأدميرال سيمور ‥

والحقيقة الثابتة أن عرابى باشا ماسـعى الى هذه الحرب ولكنه لما رأى ان انجلترا قد ساقت البلاد اليها بسياستها وأيقن أن الأمر بات أمر كرامة وشرف ودفاع عن حرية يراد بها أن تخنق ، لم يجد بدا من خوض غمرتها ‥ ولم يكن ينتظر من وراء التسليم بلا قتال شىء يخالف ما حدث فعلا بعد الحرب ٠ وعلى هذا فضلت مصر أن تقف موقف الكرامة وما حملها عرابى باشا على هذا الموقف كرها وانما كان ممثل ارادتها وقائد ثورتها(١٥٠) ‥

---

(١٤٩) محمود الحفيف ص ١٣٨ ٠

(١٥٠) محمود الخفيف ص ١٣٧ ٠

وليس أدل على ذلك من أنه بمجرد احتلال الانجليز للعاصمة خرج بعض الأهلين من سكان باب الشعرية والحسينية يحملون الهراوات بقصد محاربة الانجليز ولكن محافظ العاصمة ابراهيم بك فوزى رأى فى هذه الحركة عملا لا يجدى ولا يؤدى الا الى سفك الدماء ، فردهم وأخذ يرقب حركاتهم منعا لوقوع الاحتكاك بين الانجليز والأهلين(١٥١) ..

وعاد الزعيم أحمد عرابى الى وطنه مصر .. وكانت أول صدمة له عندما أنكره وأعرض عنه مصطفى بك ماهر محافظ السويس الذى كان معروفا بحبه للحرية والوطنية ومن تلاميذ عبد الله النديم ..

ولكن ازدحام شعب السويس كان عظيما لتوديعه فى محطة السويس .. وكذلك كان استقباله فى محطة الزقازيق وبنها ثم فى القاهرة ، حيث بلغ الازدحام أشده رغم اعلان المحافظة بعدم التجمهر ..

وتوجه الزعيم احمد عرابى للاقامة بمنزل أولاده بعمارة البابلى بشارع الملك الناصر فى شارع خيرت بالسيدة ..

وكانت جريدة اللواء تناصر الخديوى عباس — ابن الخديوى توفيق — فرأت أن تتلقى عرابى باشا لقاء كريها ابتغاء مرضاة الخديوى .. وقالت — وهى تعلم أنها كاذبة فيما تقول — أن اللورد كرومر — المندوب السامى البريطانى فى ذلك الوقت — جاء بنفسه الى محطة القاهرة لاستقبال عرابى باشا .. وذلك لتلقى فى روع الناس أن عرابى من صنائع الانجليز ..

ورأى أحمد شوقى — شاعر الأمير — أن يهجو الزعيم العائد تزلفا الى الأمير .. وعملا بسنة قديمة للشعراء مؤداها أن يمتدح

---

(١٥١) عبد الرحمن الرافعى ص ١٩٥ .

الشاعر من يرضى عنه أميره ، وأن يذم من يغضب عليه ذلك الأمير ·· دون أن يكون بين الشاعر وبين من يمدح أو يذم أية صلة ·· فنشر أحمد شوقى قصيدة قال فى مطلعها ··

صـــغار فى الذهاب وفى الإياب

أهذا كل شـانك ياعرابى(١٥٢)

وأحس أحمد عرابى أنه غريب فى وطنه ، فقد أنكره أكثر من كانوا يلتفون حوله ابان سلطانه ·· وكان فى مقدمتهم على فهمى باشا زميله فى الثورة وفى المنفى ، وابراهيم فوزى باشا مأمور ضبط القاهرة ابان الثورة وغيرهما ·· ولم يزره محمود سامى البارودى باشا الا مرة واحدة بعد عودته بأسبوع ··

ولكن الشعب المصرى الأصيل كان يتزاحم على الزعيم احمد عرابى لرؤيته والسلام عليه عندما كان يؤدى صلاة الجمعة فى جامع الرماح بالناصرية أو بمسجد السيدة زينب أو بمسجد الحسين ··

وكان أحمد عرابى يخرج أصيل كل يوم فى فصل الصـــيف للرياضة فيذهب الى الجزيرة أو شارع الهرم فيقضى ساعة أو بعض ساعة ·· وكان وجهاء المدينة فى الشوارع التى يمر بها ينهضون وقوفا اذا مر بهم وهم جلوس أمام منازلهم حسب عادة الناس فى تلك الأيام ويحيونه برفع أيديهم الى رؤوسهم اجلالا له ·· وكان يرد عليهم تحياتهم شاكرا لهم جميل صنعهم(١٥٣) ··

وقد وافاه الأجل المحتوم فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١١ الموافق ٢٧ رمضـــان سنة ١٣٢٩ ، ولم يكن لدى أولاده من المال ما يكفى لتجهيزه ودفنه فاضطروا الى عدم اعلان نبأ وفاته حتى اليوم التالى حتى قبضوا معاشه اذ صرفت وزارة المالية المرتبات والمعاشات فى ذلك اليوم بمناسبة عيد الفطر المبارك ··

---

(١٥٢) محمود الخفيف ص ٣٤٧ و ٣٤٨ ·

(١٥٣) محمود الخفيف ص ٣٥٠ ــ ٣٥٢ ·

ولم يشيعه الى مقره الأخير رجل رسمى واحد أو يحضر مأتمه .. ولكن مصر الوفية التى طغى عليها الاحتلال فتباعدت عنه فى حياته ، أبت الا أن تكرمه ميتا فأحاطت بنعشه الألوف من أبنائها وتألفت منهم جنازة شعبية عظيمة سارت فى صمت وخشوع من داره بالمنيرة — التى كان قد انتقل اليها عند مرضه — حتى قبره بالامام الشافعى(١٥٤) ..

لقد تطاول الكثيرون على الزعيم أحمد عرابى ، ولو أن الثورة العرابية قد انتصرت لتغيرت كلمات كثيرة كتبت فى عهد حكام من أسرة الخديوى توفيق ، عرفوا جميعا بعداوتهم لمبادىء الحرية والديمقراطية .. لقد أرادوا تشويه صورة أحمد عرابى باشا فى أذهان الأجيال التالية وأن ترسم كتاباتهم الصورة التى وضعها الاحتلال الانجليزى والخديوى توفيق ومن اعتلى عرشه من بعده ..

ولقد حاول بعض الكتاب التقليل من قيمة خيانة الضباط فى معركتي القصاصين الثانية والتل الكبير .. الى حد تجاهل واقعة الخيانة بالصورة التى تمت بها .. ثم التساؤل فى عجب — كأنهم لا يعلمون — عن كيفية قطع الجيش الانجليزى المسافة بين القصاصين والتل الكبير ، وهى تبلغ خمسة عشر كيلومترا دون أن تصادفهم طلائع المصريين .. ومن ثم نسبوا الى عرابى باشا أن دفاعه لم يكن محكما وأنه قد فاته أن يجعل لجيشه طلائع على مسافات بعيدة ينبئونه بحركات الجيش الانجليزى(١٥٥) ..

ان الشعب المصرى ببصيرته النافذة وحكمه الصادق دائما فيما يتعلق بقضاياه السياسية قد قرر أن .. « الولس كسر عرابى » .. أي أن الخيانة هى التى أدت الى هزيمة الثورة العرابية .. فلو لم ينكب بها الجيش المصرى لكان من المرجح نجاحه فى رد الغزو عن البلاد كما سبق أن رد حملة فريزر سنة ١٨٠٧ .

---

(١٥٤) محمود الخفيف ص ٣٥٩ .

(١٥٥) عبد الرحمن الرافعى ص ١٨٨ .

وبعبارة أخرى ، لو أن المصريين كانوا حصنوا حدودهم الغربية فى كفر الدوار ، وردموا قناة السويس ثم وقعت الخيانة على الصورة الشنيعة التى ذكرناها لانحلت العزائم ووقعت الهزيمة ولو بعد حين(١٥٦) ..

ويكفى أن نذكر ارسال خطة الجيش المصرى فى معركة القصاصين الثانية الى العدو على يد الخائن على يوسف خنفس بجانب ما أثبته الأمير كامل فى يومياته من أنه حدث أثناء هذه المعركة أن كان نحو ١٨ ألفا من المصريين على مقربة من نحو ٢٥٠٠ من الانجليز فيهم دوق كنوت ، ولو أن على يوسف ـ الذى كان يقود قلب الجيش ـ تقدم لسحق الانجليز وأسر الدوق ، ولتغيرت نتيجة المعركة تبعا لذلك ، ولكنه ـ هذا الخائن ـ تأخر برجاله وترك العدو يحيط بالجناحين ..

ولولا خيانة على يوسف خنفس وتأخر البارودى باشا فى الوصول لمكانه من المعركة ـ بسبب خيانة الطحاوى ـ لكان الأقرب الى اليقين أن يولد فى القصاصين عصر جديد فى تاريخ مصر(١٥٧) .

خاصة وأن قيادة الجيش الانجليزى وذات الجيش الانجليزى الذى هاجم مصر سنة ١٨٨٢ لم يكونا كافيين للظفر بها واحتلالها(١٥٨) ..

وفى معركة التل الكبير أشاع على بك يوسف خنفس أن الانجليز لن يخرجوا فى تلك الليلة من مراكزهم ، ولم يفعل ما أمره به على باشا الروبى من عمل خط استحكام من التراب .. بل انه جمع عساكره فى نقطة واحدة ، وكانت العساكر الانجليزية قد سارت من أول الليل وفى مقدمتها بعض الخونة من الضباط الذين انحازوا الى

---

(١٥٦) محمود الخفيف ص ٢١٨ .

(١٥٧) محمود الخفيف ص ٢٢٠ .

(١٥٨) محمود الخفيف ص ٢٢١ والمرجع المشار اليه بالهامش .

الخديوى وأمامهم عربان الهنادى يرشدونهم الى الطريق ٠٠ واستمروا سائرين الى أن بلغوا مقدمة الجيش المصرى وكانت من السوارى تحت حكمدارية أحمد بك عبد الغفار وعبد الرحمن بك حسن ٠٠ فبدل أن تناوش العدو القتال وتوقف سيره ، رجعت أمامه كأنها تقوده الى أن بلغوا محل الاى على بك يوسف خنفس الذى كان خاليا من عساكره ــ حيث جمعهم فى نقطة واحدة ــ فمروا بين العساكر بلا مانع يمنعهم(١٥٩) ٠٠ أو حتى يؤخر تقدمهم ٠٠

وقد قال أحد الكتاب أن معركة التل الكبير قد خلت من البطولة التى كان يمكن أن تغير من مصير المعركة أو تخفف من غضاضة الهزيمة وتقوى روح المقاومة فى البلاد(١٦٠) ٠٠ رغم أنه ــ نفس الكاتب وفى الصحيفة السابقة عليها مباشرة ــ كتب عن صمود الآلاليين السودانيين بقيادة الأميرالاى محمد بك عبيد حتى استشهد معظمهم وقتل قائدهم البطل ، واستبسال الاى البيادة بقيادة أحمد بك فرج وألاى بقيادة عبد القادر بك عبد الصمد ، والطوبجية بقيادة اليوزباشى حسن أفندى رضوان الذى صمد للمهاجمين وأخذت مدافعه تصلى الانجليز نارا حامية وكبدتهم خسائر جسيمة ، وجرح هو فى تلك المعركة ٠ وقد أعجب الجنرال ولسلى ببسالته وترك له سيفه احتراما له(١٦١) ٠٠

وقد حاول بعض الكتاب أن يجعلوا شخصية الزعيم أحمد عرابى ــ رغم اعترافهم بقوتها وجاذبيتها وتأثيرها فى الأفراد والجماعات وبأنه كان يريد لبلاده الخير والحرية والاستقلال ــ أحد أسباب الهزيمة ٠٠ فلو وقفت الثورة ــ فى رأى هذا البعض ــ الى زعيم مثل كافور ــ الايطالى ــ لسارت فى سبيل الفوز !!(١٦٢) ٠٠

---

(١٥٩) محمود الخفيف ص ٢١٣ .

(١٦٠) عبد الرحمن الرافعى ص ١٩٠ .

(١٦١) عبد الرحمن الرافعى ص ١٨٩ .

(١٦٢) عبد الرحمن الرافعى ص ٢١١ .

لو أنهم كانوا من الشعب المصرى الأصيل لادركوا معه أن الخيانة الخادرة هى التى أودت بعرابى باشا ، وكانت كفيلة بأن تودى بأى قائد آخر فى مكانه ..

ان عرابى باشـــا لم يكن يخطو خطوة واحدة بدافع الطمع الشخصى ، وقد تجلى ذلك فى حرصه الشديد ـ الذى هو من صفات الزعامة الصادقة ـ على قضية مصر وهو فى محنته ، واهتمامه بأن يرد على كل مطعن اليها دون أن يعنى قليلا أو كثيرا بما يقال عن شخصه(١٦٣) ..

لو أن عرابى باشا كان يسعى لمصلحة شخصية ، لقبل ماعرض عليه فى أواخر سنة ١٨٨٤ ـ وهو فى المنفى ـ أن يكون سفيرا مؤقتا الى المهدى بالسودان لرفع الحصار عن غوردون باشا ، على أن يعزل توفيق ويعين أمير غيره يستطيع الاتفاق مع المهدى ، وان النية متجهة الى اعادة الخديوى اسماعيل بشرط أن يكون عرابى باشا رئيسا لوزرائه باعتباره زعيم مصر المختار .. ولكن عرابى باشا رفض ذلك وآثر المنفى على مثل هذه العودة(١٦٤) ..

وبعـــــد ....

فانه من الواجب علينا ـ ونحن نحتفل بالعيد المئوى للثورة العرابية ـ أن يبقى فى أذهان أبناء هذا الجيل والأجيال القادمة أن أحمد عرابى كان زعيم القومية المصرية الاول والفلاح المصرى الأول الذى دعا الى حرية قومه وحارب فى سبيلها ..

---

(١٦٣) محمود الخفيف ص ٣٢٧ .

(١٦٤) محمود الخفيف ص ٣٣٦ .

كان عرابى باشا أول وزير مصرى حمل الأجانب على طاعته ٠٠ وقد رفع المصريون رؤوسهم فى عهده على الأقل ، ولم يجرؤ اليونانيون ولا الايطاليون على الاعتداء على القانون ٠٠ أما بعد الاحتـــلال الانجليزى ، فلم يكن هناك من يحفظ النظام ٠٠ وكان المصريون وحدهم هم الذين يقعون تحت سلطان الشـــرطة ويفعل الأوربيون مايشاءون(١٦٥) ٠٠

ولنؤمن بأنه ما كان لعرابى باشا وأصحابه أن يفعلوا غير ما فعلوا ، والا كانت حركتهم القومية ونهضتهم الاصلاحية هزرا ولعبا من أول الأمر ٠٠

لقد كان عرابى باشا على استعداد لأن يسالم الدنيا كلها ، الا انه كان يرى من واجبه أن يدفع عن وطنه كل عدو مغير ٠٠ لقد أدى عرابى باشا لبنى وطنه فى تلك الاسابيع خدمة لا تقدر ٠٠ فليس هناك شىء أكثر يقينا من أنه لو كان عرابى باشا أقل عنادا مما كان فى رفضه التهديد أو الرشوة(١٦٦) ٠٠ عندما طلب اليه مغادرة مصر ولم تنشب الحرب تبعا لذلك ، لبقى الفلاحون كما كانوا سنة ١٨٨٠ عبيدا لسادتها الأتراك وعبيدا للأوربيين ٠ ولعاد الحكم الشركسى أشد مما كان ٠٠ ولذهبت أسطورة الحركة القومية للفلاحين هباء فى صورة مشينة ٠٠ لأن الشعب الذى لم يجرؤ قط على الدفاع عن وجوده جدير بالاحتقار ٠٠ ولكانت المطبوعات القومية تهوى الى

---

(١٦٥) حديث للأميرة نازلى فى ٣١ يناير سنة ١٨٨٧ ـ محمود الخفيف ص ٣٢٦ والمرجع المشار اليه فى الهامش ٠

(١٦٦) عرض عليه أن يدفع له معاش ضخم اذا غادر مصر حسب المذكرة المشـــتركة ٠

مثل ما هوت اليه فى تونس بعد الاحتلال الفرنسى .. لقد خلص عرابى باشا بنى وطنه على أقل تقدير من هذا كله (١٦٧) ..

ثم كانت ثورة سنة ١٩١٩ فى تاريخ مصر هى البعث لثورة عرابى وتكملتها .. فعلى يد سعد زغلول باشـــا تعود القومية المصرية التى بدأها أحمد عرابى .. وعلى يد سعد زغلول يخذل الاحتلال الذى خنق ثورة عرابى .. وعلى يد سعد زغلول يبعث الدستور الذى هتف به فى مســـمع الزمن أحمد عرابى حين واجه الخديوى توفيق يوم عابدين بأنه جاء يتكلم باسم الأمة التى تطلب الدستور ولا ترضى غيره قاعدة للحكم(١٦٨) ..

ولعل أجمل تحية نقدمها لذكرى الزعيم أحمد عرابى أن يؤكد الشـــعب المصرى بزعامته الوطنية خطواته على طريق الحـــرية والديمقراطية .. وأن يثوب الى رشده كل من أساء الى مصر وشعب مصر ، حتى لا يذكره التاريخ مع محمد سلطان وعلى يوسف خنفس وســـعود الطحاوى .. وأن يعود اليها ليكون « طوبة » فى بناء حضارتها الحديثة لا حجرا تقذف به ..

---

(١٦٧) محمود الخفيف ، ص ٩٥ و ٩٦ والمراجع المشار اليها بالهامش .

(١٦٨) محمود الخفيف ص ٣٤٩ .

الفصل الحادى عشر

اعـــادة محاكمـــة
الزعيم أحمد عرابى

لقد حان الوقت لتنصف مصـــر زعيم قوميتهـــا الأول أحمد عرابى باعادة محاكمته أمام محكمة مصرية تشــكل من أقدم مســـتشارى محكمة النقض ورؤساء محاكم الاستئناف ، لتعرف الأجيـــــال حقيقة أعماله الوطنيـــة ولتعويض ورثته عما سلب منهم عن أملاك وأموال ٠٠

« لقد تركت لأولادى وحفدتى من بعدى وذريتى جيلا بعد جيل الحق فى المطالبة بحقوقى واملاكى المنهوبة من الحكومة المصرية ومن المجلس النيابى المصرى حين تسترد الأمة حريتها واســـــتقلالها ومجلسها النيابى ٠٠ وانى واثق بأن أمتى المصـــرية الكريمة لن تنسانى ولن تترك اولادى حين يأتى اليوم الذى تعـــرف فيه حقيقة اعمالى الوطنية الواجبة على كل وطنى حر ٠٠ »

احمد عرابى المصرى

- حوكم الزعيم أحمد عرابى أمام محكمة عسكرية برئاسة محمد رؤوف باشا بتهمة عصيان الخديوى توفيق · واهتم بأمره المستشرق الانجليزى مستر ولفرد بلنت المشهور بمناصرته لمصر والمصريين · وفى سعيه لانقاذ أحمد عرابى باشا من الاعدام اتفق مع السلطات الانجليزية على اختيار اثنين من المحامين الانجليز هما مستر برودلى ومستر نابيه للدفاع عنه أمام المحكمة العسكرية ··

وقد استقر رأى الانجليز - الاتهام والدفاع - على محاكمة أحمد عرابى باشا بتهمة عصيان الخديوى ·· واستبعاد الاتهامات الثلاث الأخرى وهى تدبير مذبحة الاسكندرية ، واحراقها ، وعدم مراعاة القانون الحربى الخاص برفع الراية البيضاء · على أن يعترف أحمد عرابى بجريمته ، وأن يستبدل الخديوى بحكم الاعدام النفى المؤبد ·· وأن يصدر بعد ذلك مرسوم بمصادرة أملاكه وأن تقرر له الحكومة معاشا يفى بحاجته مع حرمانه رتبه وألقابه(١٦٩) ·

اذ أنه لما كان التحقيق الابتدائى قد دل بوضوح على أنه لايمكن اتهام عرابى الا بتهمة الثورة فقد وضع لورد دوفرين الذى وصل الى القاهرة فى ٧ نوفمبر - موفدا فى مهمة خاصة - الترتيب التالى :

---

(١٦٩) عبد الرحمن الرافعى ص ٢٠٠ و ٢٠١ ·

١ ـ أن يعترف عرابى بانه مذنب لثورته على الخديوى ٠

٢ ـ أن تحكم عليه المحكمة بالاعدام ٠٠

٣ ـ أن يعدل الحكم بنفيه من مصر الى الابد(١٧٠) ٠

لقد استقر الراى على ان تكون المحاكمة صورية ومن هنا نشأت عند الحكومة المصرية فكرة انتقامية غير منتظرة شرعت فى خلق أشياء تزيد من الظروف التى تسوغ اعدام عرابى(١٧١) ٠

فمنذ ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٨٢ رغبت جميع الجهات فى تسوية الموقف ٠٠ فالحكومة الانجليزية التى أعلنت من قبل عصيان الجند والتى أسمت الحركة كلها ثورة عسكرية والتى أرسلت حملة لقمعها أنفقت فيها ملايين الجنيهات ، لا يمكنها أن تطلق سراح عرابى باشا بعد هذا كله بلا قيد أو شرط ٠ ولكن الحكومة الانجليزية ـ من ناحية أخرى ـ لم تعد تقوى على اصدار حكم الموت على أحمد عرابى باشا ، وان كانت لا تعترض على حكومة الخديوى توفيق اذا ألقت به فى السجن الى أى وقت تشاء ٠٠

وكانت تركيا تريد أن تنتهى هذه المسألة على أى وجه لمنع ذكر ما من شأنه أن يمس السلطان من فضائح القاهرة ٠٠

وكانت حكومة الخديوى توفيق ـ ماعدا رياض باشا ـ ترى أن تتجه هذا الاتجاه بعد أن عجز سليمان سامى عن اقامة الدليل على اتهام أحمد عرابى باشا بحرق الاسكندرية ، وبعد أن تم ابلاغ شريف باشا ـ رئيس الوزراء ـ بأن الحكومة الانجليزية لا تستطيع أن تصدر حكما بالموت على عرابى باشا ٠٠

ولم يكن الزعيم أحمد عرابى ـ حتى ٢٩ نوفمبر ـ يعلم شيئا

---

(١٧٠) لورد كرومر ص ٢٤٤ ٠

(١٧١) لورد كرومر ص ٢٤٣ ٠

عن هذا كله حتى أخبره به محاميه مستر برودلى ·· فقال له عرابى باشا ·

– أعترف بصراحة أنى كنت أفضل المحاكمة لاســمع أوربا كلها قضيتى وألقى من اتهمونى وجها لوجه فى ساحة المحكمة ··

وتساءل الزعيم أحمد عرابى ··

– أليس يرجى أن يفضى ما عسى أن يلقى من ضوء على المسائل المصرية فى المحكمة الى تحقيق الاصــلاحات التى عجزت الحرب عن تحقيقها ··

وأطرق عرابى باشا ثم صاح قائلا ··

– كيف اقول أنى عاص ؟ ·· ألم أفعل ما أمر به السلطان والخديوى ؟ ·· واذا كان الخديوى قد انحاز الى الانجليز ، فهل أسمى أنا عاصيا لأنى أطعت ارادة الأمة المصرية ؟

وقال مستر برودلى للزعيم أحمد عرابى :
– ان الحكومة الانجليزية لا يمكنها أن تتراجع عما أعلنته ولذلك قضت الضرورة بهذا الحل(١٧٢) ··

وارتضى الزعيم أحمد عرابى هذا المصير وقام بالتوقيع على وثيقتين ·· الأولى يعترف فيها بارتكاب جريمة العصيان ·· والثانية يتعهد فيها بأن لا يبرح الجهــة التى تعينهــا الحكومة الانجليزية لمنفاه ··

وعلى ذلك جرت محاكمة الزعيم أحمد عرابى ·· مجرد محاكمة صورية عرفت نتيجتها قبل انعقاد المحكمة · ولم تدم المحاكمة سوى يوم واحد ، اذ انعقدت يوم ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٢ بقاعة مجلس الشيوخ السابق بمبنى وزارة الأشغال الساعة التاسعة والنصــف

---

(١٧٢) محمود الخفيف ص ٣٠٢ – ٣٠٤ ·

صباحا ٠ وكان مقررا أن يتولى الاتهام مسيو بوريللى رئيس قلم قضايا الحكومة ، ولكنه تنحى اذ رأى أن المحاكمة مهزلة متفق عليها من قبل فتولى الاتهام قومندان الحامية الانجليزية فى التحقيق ٠٠

دخل الزعيم أحمد عرابى قاعة الجلســـة وجلس فى المقعد المخصص له وبجواره مســـتر برودلى ومســـتر نابيه المحاميان الانجليزيان ٠٠ فتلا عليه رؤوف باشا رئيس المحكمة ورقة الاتهام ٠٠

ـ أحمد عرابى باشا ٠٠ أنت متهم أمام هذه المحكمة بناء على طلب لجنة التحقيق بجريمة العصيان ضد الجناب الخديوى مخالفا المادتين ٩٦ من القانون العسكرى ، ٥٩ من قانون الجنايات العثمانى ٠٠ فهل تقر بالتهمة أم لا ٠٠

فأجاب الزعيم أحمد عرابى

ـ ان محاميى سيجيبان بالنيابة عنى(١٧٣) ٠٠

وقام مستر برودلى المحامى وتلا بالفرنسية الوثيقة الأولى التى وقعها أحمد عرابى باشا يعترف فيها بارتكابه جريمة العصـــيان الموجهة اليه ، ثم تلا كاتب الجلسة صـــيغتها العربية ٠٠ « انى بارادتى وعملا بنصـــيحة محـــامى اقـــر ما يتلى على الآن من اتهام »(١٧٤) ٠٠

عندئذ قرر رؤوف باشا بأن المحكمة ستختلى للمداولة وأن الجلسة أوقفت على أن تنعقد فى الساعة الثالثة بعد الظهر ٠٠

وانعقدت المحكمة فى الموعد المذكور وأمر رؤوف باشا بتلاوة الحكم القاضى باعدام أحمد عرابى باشا ٠٠ ثم الأمر الخـــديوى بابدال الاعدام بالنفى المؤبد ٠٠

---

(١٧٣) عبد الرحمن الرافعى ص ٢٠١ و ٢٠٢ ٠

(١٧٤) محمود الخفيف ص ٣٠٧ ٠

وفى ١٤ ديسمبر سنة١٨٨٢ صدر الأمر الخديوى بمصادرة أملاك وأموال الزعيم أحمد عرابى وحرمانه من حق الامتـــلاك فى الديار المصرية بطريق الارث أو الهبة أو البيع أو بأى طريقة ما مع ترتيب معاش سنوى له بالقدر الضرورى لمعيشته ..

وفى ٢١ ديسمبر صدر الأمر الخديوى بتجريد عرابى باشا من جميع الرتب والألقاب وعلامات الشرف التى كان حائزا لها .. ونفذ الأمر يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢ .

وفى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٢٨ ديسمبر غادرت الباخرة الانجليزية مريوتس ـ مريوط ـ ميناء السويس تحمل الزعيم المصرى الثائر تنفيذا للحكم الصـــادر بالنفى مؤبدا من محكمة انجليزية وخديوى تركى .. فقد كان أعضاء المحكمة ـ الا واحدا ـ من أصل تركى أو شركسى من الموالين للخديوى(١٧٥) ..

وقد سبق هذه المحاكمة الصـــورية تحقيقات أجرتها لجنة التحقيق أو القومسيون المخصوص ـ كما كانت تسمى ـ وعقدت أولى جلساتها فى ١٠ اكتوبر سنة ١٨٨٢ برئاسة اسماعيل أيوب باشا وعضوية كل من : محمد مختار ـ مصطفى خلوصى ـ ســـليمان يسرى ـ مصطفى راغب ـ محمد حمدى ـ سعد الدين ـ محمد زكى ـ يوسف شهدى ـ على غالب ..

وكان مما تريد اللجنة أن تلصقه بأحمد عرابى باشا من التهم .. تدبيره لمذبحة الاسكندرية ثم احراقها بعد اطلاق مدافع الانجليز على الطوابى ، وعدم مراعاة القانون الحربى الخاص برفع الراية البيضاء ، وعصيان الخديوى ..

واستجوبته اللجنة أياما فلم تستطع أن تقحمه فى مسألة راحدة .. وبعد تحقيقات دامت نحو شهر لم تستطع اللجنة أن تضع يدها

---

(١٧٥) محمود الخفيف ص ٢٤٢ .

على شىء تدين به عرابى باشا ، رغم أن أكثر أسئلتها للمتهمين جميعا كانت ترمى الى ادانة عرابى باشا ٠٠ وبعد ذلك يحق عليهم بالتبعية ما حق عليه(١٧٦) ٠٠

وفى يوم ١٢ أو ١٣ نوفمبر سنة ١٨٨٢ صدرت جريدة الاجبسيان جازيت تعلن للناس نبأ مدهشا ٠٠ أن سليمان بك سامى ــ أحد الضباط العرابيين ــ قد اعترف بأنه أحرق الاسكندرية وأنه فعل ذلك بأمر من عرابى باشا ألقاه عليه على مرأى ومسمع من بعض الناس كما اعترف بأمر أعظم خطرا وهو أن عرابى باشا أرسله ليقتل الخديوى بقصره فى الرمل ٠٠

وكان سليمان سامى قد أحضر من كريت ــ بعد هربه اليها ــ فوصل الى الاسكندرية فى ٩ نوفمبر وظل تحت مراقبة أعوان الخديوى منذ أن بلغ الاسكندرية حتى دخل السجن فى مبنى الدائرة السنية ٠ فلم يتصل به أحد قط وذلك لأنه قد اتفق معه على أن يكون شاهد اثبات(١٧٧) ٠٠

وكتب بيمان أن شهادة سليمان سامى التى طرب لها الاتهام مالبث أن تبين أنها لا تساوى قلامة ظفر ، اذ أنها لفقت لوقتها وليس فيما مضى من الأقوال ما يؤيدها ٠٠ وأنه يكاد يجزم شخصيا أن الخديوى وعمر لطفى هما مدبرا فتنة الاسكندرية لتكون ضربة لعرابى باشا الذى أعلن قبلها مباشرة أنه يضمن الأمن العام(١٧٨) ٠

وفى مجلس العموم الانجليزى قال اللورد تشرشل فى حملته على وزارة جلادستون سنة ١٨٨٣ ــ بعد اعدام سليمان سامى ــ أن الخديوى الذى كان يرغب فى الذهاب الى الاسكندرية يوم الأحد ما استساغ الدخول اليها قبل موت سليمان سامى الا لكى يرى

---

(١٧٦) محمود الخفيف ص ٢٨٦ ٠

(١٧٧) محمود الخفيف ص ٢٩٨ و ٢٩٩ ٠

(١٧٨) محمود الخفيف ص ٨٤ و ٨٥ ٠

بعينيه شنق الرجل الذى أحرق الاسكندرية بأمره وطاعته ·· ان الأمر الصادر بحرق الاسكندرية كان مختوما عليه من الخديوى توفيق نفسه · وأنا أطلب للمبارزة كل وزراء الحكومة الجلادستونية اذا كان فيهم من يتجرأ على أن ينكر هذه الحقيقة ·· ان الحكومة الانجليزية عجلت بشنق سليمان سامى قبل أن يبوح بأسرار خطيرة تدين الخـــديوى وذلك لأن محاميه طلب بدء التحقيق من جـــديد ومواجهته بمن شهدوا عليه(١٧٩) ··

وبعـــــد ····

لقد حان الوقت لتنصـــف مصر ـ بعد أن استردت حريتها واستقلالها ومجلسها النيابى ـ زعيم قوميتها الأول احمد عرابى بمناسبة العيد المئوى للثورة التى قادها ·· باعادة محاكمته أمام محكمة مصرية تشكل من اقدم مستشارى محكمة النقض ورؤساء محاكم الاستئناف لتعرف الأجيال حقيقة أعماله الوطنية ولتعويض ورثته عما سلب منهم من أملاك وأموال ··

لو أن عرابى باشا قدم الى محاكمة عادلة تريد احقاق الحق لما كان هناك شك فى براءته من جميع مانسب اليه من تهم ·· فقد عجزت لجنة التحقيق عن أن تدينه فى تهمتى تدبير فتنة الاسكندرية واحراقها ·· أما العصيان فلم يكن له أى أساس أو شبه أساس وانما قضت الظروف أن يقر عرابى باشا اقرارا صوريا ، جانبا منه وهو عصيان أمر الخديوى وذلك بالاستمرار فى الحرب بعد أن طلب منه وقفها ··

ولو أن عرابى باشا ضمن أن يكون قضاته ممن يطمئن الى عدالتهم ما قبل هذا الوضع وهو متأكد من البراءة ··

---

(١٧٩) محمود الخفيف ص ٨٤ و ٨٥ ·

مراجع الكتاب

١ ـ مصر للمصريين (محاكمة العرابيين) سليم خليل النقاش طبعة سنة ١٨٨٤ بمطبعة جريدة المحروسة بالاسكندرية ٠

٢ ـ مذكرات عرابى (كتاب كشف الستار عن سر الأســـرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية فى عامى ١٢٩٨ و ١٢٢٩ الهجريتين وفى ١٨٨١ و ١٨٨٢ الميلاديتين) بقلم زعيم الثورة العرابية احمد عرابى المصرى : الجزء الأول ـ كتاب الهلال فبراير سنة ١٩٥٣ ٠

٣ ـ الزعيم أحمد عرابى ، عبد الرحمن الرافعى بك كتاب الهلال مارس سنة ١٩٥٢ ٠٠

٤ ـ أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه ، محمود الخفيف الجزء الثانى ـ كتاب الهلال يوليو سنة ١٩٧١ ٠

٥ ـ الثورة العرابية ، لورد كرومر ترجمة عبد العزيز عرابى ٠

للمؤلف :

١ ـ التنظيم الاجتماعى للعلاقات الجنسية ـ القاهرة يوليو ١٩٦٠

٢ ـ الزواج وتطور المجتمع ـ القاهرة أغسطس ١٩٦٧

٣ ـ الزواج فى المجتمع المصرى الحديث ـ القاهرة يوليو ١٩٨٥

٤ ـ الزواج وتطور مجتمع البحرين ـ القاهرة يناير ١٩٨٩

تحت الطبع :

تقاليد الزواج فى مجتمع الغوص (صيد اللؤلؤ)

الفهـــرس

رقم الايداع ٨٩/٢٩٧١

الترقيم الدولى ٥ ــ ٢١٠٤ ــ ٠١ ــ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

لقد هالنى أن أضطر لذكر أسباب فشل الثورة العرابية الستة ــ كما جاءت بالكتاب المدرسى للإعدادية ــ خمسة منها تتضمن تهجماً وتجريحاً لشخصية الزعيم المصرى أحمد عرابى ، والسبب السادس هو خيانة على يوسف الشهير بخنفس . . دون أن يذكر الدور الذى قام به ، ودون أن يذكر غيره من الخونة . . حتى يبدو عنصر لا يستحق الذكر . . إلى جانب الأسباب الخمسة الأولى التى تهاجم الثورة العرابية وقائدها ، وتنزع عنه كل مقدرة عسكرية وسياسية . .

١٣٠ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب